سلسلة رسائل تاريخ الفكرة الاسلامية

— الكتاب السادس —

إنهيار الحضارة الغربية

حضارة استعمار ورأسمالية . ومدنية إلحاد وإباحية

« الحركات الاسلامية الأخيرة »

— ٣ —

بقلم

أنور الجندي

ذى القعدة ١٣٦٥

دار الطباعة والنشر الإسلامية

موضوعات الرسالة

بسم الله الرحمن الرحيم

« إنما مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض مما يأكل الناس والأنعام حتى إذا أخذت الأرض زخرفها وازينت وظن أهلها أنهم قادرون عليها أتاها أمرنا ليلا أو نهاراً فجعلناها حصيداً كأن لم تغن بالأمس »

« فلما نسوا ماذكروا به فتحنا عليهم أبواب كل شيء حتى إذا فرحوا بما أوتوا أخذناهم بغتة فاذا هم مبلسون فقطع دابر القوم الذين ظلموا ... »

« قرآن كريم »

سلسلة رسائل تاريخ الفكرة الإسلامية

منهاجها . قواعدها . غايتها . وسائلها

« تظهر أول كل شهر »

تعريف

(١) نقدم هذه الرسائل لأخواننا الأحباب الأعزاء شباب الإسلام عامة ، وشباب الأخوان خاصة ونبذل في وضعها كثيرا من الجهد والمراجعة والبحث لنكشف لهم عن جوانب من التاريخ والمجتمع ، والحياة الإنسانية في حاجة إلى توضيح وكشف ، انطوت معالمها في أعماق الكتب والمجلدات فبعدت عن شبابنا الذى لا يكلف نفسه جهد البحث والتنقيب ، والذى يحب أن يجد هذه المعلومات معدة جاهزة مبسطة ليلتهمها في ساعات قليلة . فهذه الرسائل إذا ليست إلا تنسيقا للمعلومات المشوشة وتبسيطا للمعلومات المعقدة وعرضها في أسلوب سهل بسيط حتى تصبح مكتبة الأخ المسلم شاملة لجوانب الفكرة الإسلامية في صورتها الواضحة . كما أننا عنينا أيضا بأن نكشف للشباب عن كثير من الشرور المحدقه بالفكرة والآثار السيئة العتيقة التى أحاطت بالحرية والوطنية والإسلام، وأثار الاستعمار النافذة إلى قلب الأمة ومدى مفعولها ليتنبه الناس ، ولتمتلىء قلوبهم حقداً عليه وكراهية له ونفوراً منه وعزوفا عنه ، واقبالا على العمل والجهاد والكفاح لتحقيق الرجاء الأكبر المعقود بالنواصى ، الظفر بالحرية وإقامة أحكام الله .

(٢) كثرت المؤلفات والمجلات والرسائل المجرمة التى تسفه عقول الشباب والفتيات بالصور الداعرة والمقالات المكشوفة والكلمات المثيرة للشهوات ، التى تهون في نظر الشباب الكرامة والعزة والعفاف والعرض ، والتى تهون في نظره جلال الاسلام والحفاظ على العروبة فلابد إزاء هذا الطوفان الجبار من استعداد قوى لمواجهة هذه الحملة المجرمة الموجهة إلى كرامتنا وأخلاقنا بأدب جديد وفكر جديد .

(٣) هذا فضلا عن أننا نريد أن نكون للشباب مكتبة متسقة كاملة عن تفاصيل القضية الإسلامية الكبرى فى نواحى الدعوة وأهدافها تكشف الحقائق التى زورها بعض ذوى الأغراض وتوضح للناس دخائل النفوس وأطماعها فى حرية ووضوح وجلاء وأدب ، وبالجملة فهذه الرسائل مما لا يستغنى عنه مثقف بحال .

فأحرصوا عليها وأقرأوها بامعان وزينوا بها مكاتبكم وعاونوا الأدب الرفيع على الحياة والبقاء .

انور الجندى

كتاب الشهر المقبل

الحركات الاسلامية الاخيرة

— ٤ —

الاســـــلام يزحف

جنبلة مـــدوية فى محيط السياسة الإسلامية
فى الشرق وتصوير لاطوار الزحف
الإسلامى إلى الأهـــداف
العليـــا

انهيار الحضارة الغربية

على شباب الإسلام المتحفز للنهضة أن يقرأ هذه الكلمات حتى لا يخدعه طلاء الحضارة الاستعمارية البراق الذى يخفى وراء السم القتال والشر المستطير . .

من هذه الصحائف يتبين فى وضوح ، آثار هذه المدنية الملحدة الاباحية التى تهدف دائما إلى سحق الحريات وتغريب الشرق واستغلال الأوطان وقتل الروحانية ومسخ الديانات وتشريد الأحرار . .

ويمكننا أن نقول بأنها والحمد لله قد ارتدت خاسرة عن شرقنا الإسلامى ، فقد تنبهنا إلى أنفسنا ، وأدركنا سر وجودنا ، وعرفنا حقنا ، وآمنا بالكنز الذى بين أيدينا . نور العالم ودستور الإنسانية .

وعلينا اليوم أن نؤمن بأن سياج هذا الحق هو التجرد الكامل له بالقلم واللسان والمال والدم « قل إن كان أباؤكم . . . » وثانيهما أن نؤمن بالجهاد فى سبيل الفكرة وأن نعتنق عقيدة الاستشهاد والفداء والتضحية والبذل فى سبيل الغاية (إن الله اشترى . . . الآية » ويأبى الله إلا أن يتم نوره .

أنور الجندى

الحضارة الغربية وآثارها

في الشرق الاسلامي

بقلم

فضيلة الأستاذ الامام

حسن البنا

اطمأنت الدولة الاسلامية تحت لواء العثمانيين إلى سلطانها واستقامت اليه وغفلت عن كل مايدور حولها . ولكن أوربا التى اتصلت بالاسلام غربا بالأندلس وشرقا بالحملات الصليبية لم تضع الفرصة ولم تغفل عن الاستفادة من هذه الدروس فأخذت تتوحد وتتجمع تحت لواء الفرنجة فى بلاد الغال واستطاعت بذلك أن تصد تيار الغزو الاسلامى الغربى ، وأن تبث الدساسين فى صفوف مسلمى الأندلس ، وأن تضرب بعضهم ببعض ، إلى أن قذفت بهم أخيرا إلى ماوراء البحر ، ومازالت أوربا تتقوى وتتجمع وتفكر وتتعلم ، وتجوب البلاد وتكشف الأقطار حتى كان كشف أمريكا عملا من أعمال أسبانيا ، وكشف طريق الهند عملا من أعمال البرتغال و توالت فيها صيحات الاصلاح ونبغ فيها كثير من المصلحين . وأقبلت على العلم الكونى والمعرفة المنتجة المثمرة وانتهت هذه الثورات لاصلاحية بتكوين القوميات وقيام دولة قوية جعلت هدفها جميعاً أن تمزق الدولة الاسلامية التى قاسمتها أوربا . واستأثرت دونها بافريقيا وآسيا وتحالفت هذه الدول الفتية على ذلك احلافا رقت بها إلى درجة القداسة فى كثير من الأحيان

حضارة جديدة

إن الأمم الأوربية التى اتصلت بالاسلام وشعوبه فى الشرق بالحروب الصليبية وفى الغرب بمجاورة عرب الأندلس ومخالطتهم . لم تستفد من هذا الاتصال مجرد الشعور القوى أو التجمع والتوحد السياسى ولكنها أفادت إلى جانب ذلك يقظة ذهنية وعقلية كبيرة واكتسبت علوما ومعارف جمة. وظهرت فيها نهضة أدبية وعلمية واسعة النطاق ، وقامت الكنيسة تناهض هذه الظاهرة الجديدة بكل ما أوتيت من قوة ، وتذيق رجالها من الأدباء والعلماء مر العذاب، وتستعدى عليهم محاكم التفتيش ، وتثير ضدهم الدول والشعوب

ولكن ذلك كله لم يجدها نفعاً ، ولم تثبت تعاليمها أمام حقائق العلم وكشوفه ، وخرجت النهضة العلمية منتصرة كل الانتصار وتنبهت الدول لذلك ، فصارعت الكنيسة هى الأخرى حتى صرعتها وتخلص بذلك المجتمع الأوربى تخلصا تاما من سلطانها ، وطارد رجالها إلى المعابد والأديرة وألزم البابا الاقامة فى الفاتيكان ، وحصر عمل رجال الدين فى نطاق ضيق من شئون الحياة لا يخرجون عنه ولا يتطلعون إلى سواه ، ولم تبق أوربا على المسيحية إلا كتراث تاريخى وعامل من عوامل تهذيب البسطاء والأغرار من دهماء الشعوب ووسيلة من وسائل الغلب والاستعمار ، وقضاء المآرب السياسية ، وامتد أمام الأوربيين رواق العلم وانفسح مجال الاختراع والكشف وضاعفت الماكينة الانتاج ، ووجهت الحياة وجهة صناعية وسار ذلك جنبا إلى جنب مع نشأة الدول وامتداد سلطانها إلى كثير من البلاد والأقطار فأقبلت الدنيا على هذه الدول الأوربية وجبت إليها ثمرات كل شىء وتدفقت عليها الأموال من كل مكان فكان طبيعيا بعد ذلك أن تقوم الحياة الأوربية والحضارة الغربية على قاعدة اقصاء الدين عن كل مظاهر الحياة الاجتماعية وبخاصة الدولة والمحكمة والمدرسة وطغيان النظرة المادية وجعلها المقياس لكل شىء.

وتبعا لذلك صارت مظاهر الحضارة مظاهر مادية بحتة تهدم ما جاءت به الأديان السماوية وتناقض كل المناقضة تلك الأصول التى قررها الاسلام الحنيف ، وجعلها أساسا لحضارته التى جمعت بين الروحانية والمادية جميعها ومن أهم الظواهر التى لازمت الحضارة :

(١) الالحاد والشك فى الله وإنكار الروح ونسيان الجزاء الأخروى والوقوف عند حدود الكون المادى المحسوس (يعلمون ظاهراً من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون)

(٢) الاباحية والتهافت على اللذة والتفنن فى الاستمتاع بها وإطلاق الغرائز الدنيا من عقالها واشباع شهوتى البطن والفرج وتجهيز المرأة بكل صنوف المفاتن

والمغريات والاغراق فى الموبقات إغراقا يحطم الجسوم والعقول ويقضى على نظام الأسر ويهدم سعادة البيوت (والذين كفروا يتمتعون ويأكلون كما تأكل الأنعام والنار مثوى لهم)

(٣) الأثرة فى الافراد فكل إنسان لا يريد إلا خير نفسه ، وفى الطبقات كل طبقة تتعالى عمن سواها وتود أن تحظى بالمغانم دونها وفى الشعوب كل أمة تتعصب لجنسها وتنتقص غيرها وتحاول أن تلتهم من هى أضعف منها .

(٤) الربا والاعتراف بشرعيته واعتباره قاعدة التعامل والتفنن فى صورة وضروبة وتعميمه بين الدول والأفراد ، وقد أنتجت هذه الظواهر المادية البحتة فى المجتمع الأوربى فساد النفوس وضعف الأخلاق والتراخى ومجاوبة الجرائم وكثرت المشكلات وظهرت المبادىء الهدامة واستغلت الثورات المخربة المدمرة واضطربت النظم الاقتصادية والاجتماعية والسياسية فلم تستقر على حال ، وتمزقت الدول بالطوائف والأحزاب ، وتناحرت الشعوب على المطامع والأحقاد ، وأثبتت هذه المدنية الحديثة عجزها التام عن تأمين المجتمع الانسانى وإقرار الطمأنينة والسلام فى ربوعه وفشلها فى إسعاد الناس رغم ما فتحت عليهم من حقائق العلم والمعرفة وما وفرت لهم من أسباب الغنى والثراء وما كتبت لدولها فى الأرض من قوة وسلطان ، ولما يمض عليها قرن من الزمان .

طغيان الموجة على بلاد الإسلام

وقد عمل الأوربيون جاهدين على أن تغمر موجة هذه الحياة المادية بمظاهرها الفاسدة وجراثيمها القتالة جميع البلاد الاسلامية التى امتدت إليها أيديهم وأوقعها سوء الطالع تحت سلطانهم مع حرصهم الشديد على أن يحتجزوا دون هذه الأمم عناصر الصلاح والقوة من العلوم والمعارف والصناعات والنظم النافعة ، وقد أحكموا خطة هذا الغزو الاجتماعى أحكاما شديدا ، واستعانوا بدهائهم السياسى وسلطانهم العسكرى حتى تم لهم ما أرادوا ، أغروا كبار المسلمين

بالاستدانة منهم والتعامل معهم وسهلوا لهم ذلك وهونوه عليهم ، واستطاعوا بذلك أن يكتسبوا حق التدخل الاقتصادى وأن يغرقوا البلاد برؤوس أموالهم ومصارفهم وشركاتهم وأن يديروا دولاب العمل الاقتصادى كما يريدون وأن يستأثروا دون الأهلين بالأرباح الطائلة والثروات العظيمة ، وتمكنوا بعد ذلك من أن يغيروا قواعد الحكم والقضاء والتعليم ، وأن يصبغوا النظم السياسية والتشريعية بصبغتهم الخاصة فى أقوى بلاد الاسلام وجلبوا إلى هذه الديار نساءهم الكاسيات العاريات وخمورهم ومسارحهم ومرافقهم وملاهيهم وقصصهم وجرائدهم ورواياتهم وخيالتهم وعبثهم ومجونهم ، وأباحوا فيهم من الجرائم ما لم يبيحوه فى ديارهم وزينوا هذه الحياة الصاخبة العابثة التى تعج بالاثم وتطفح بالفجور فى أعين البسطاء الأغرار من أغنياء المسلمين وذوى الرأى فيهم وأهل المكانة والسلطان ولم يكفهم هذا حتى أنشأوا المدارس والمعاهد الدينية والثقافية فى عقر ديار الاسلام تقذف فى نفوس أبنائه الشك والالحاد وتعلمهم كيف ينتقصون أنفسهم ويحتقرون دينهم ووطنهم وينسلخون من تقاليدهم ويقدسون كل ما هو غربى ، ويؤمنون بأن ما يصدر عن الأوربيين وحده هو المثل الأعلى لهذه الحياة .

واحتوت المدارس على أبناء الطبقة العليا وحدها وصارت وقفا عليهم ، وأبناء هذه الطبقة هم العظماء والحكام ومن سيكون بيدهم بعد قليل مقاليد الأمور فى هذه الأمم والشعوب ، ومن لم يتم نضجه فى هذه المعاهد الموضعية فان فى البعثات المتلاحقة ما يكفل لهم الاتمام .

ونجح هذا الغزو الاجتماعى المنظم العنيف أعظم نجاح فهو غزو محبب إلى النفوس لا صق بالقلوب ، طويل العمر ، قوى الأثر ، وهو لهذا أخطر من الغزو السياسى والعسكرى أضعاف الأضعاف ، وتغالت بعض الدول الاسلامية فى الاعجاب بهذه الحضارة الأوربية والتبرم بصبغتها الاسلامية حتى أعلنت تركيا أنها دولة غير اسلامية ، وتبعت أوربا فى عنف قاس فى كل ما يصنعون .

٤ — [١] انهيار الحضارة الغربية

إن المدينة الأوربية قد أعلنت عجزها وأثبتت أفلاسها عن قيادة البشر وإسعاد الشعوب ، وهاهي ذى صروح عظمتها تندك صرحا فصرحا ، وأصولها تنهار أصلا فأصلا ، فسدت مبادىء القوم فهم بين ملكية مهددة أو جمهورية زائفة . أوديكتاتورية مقنعة ، أو ستبدادية سافرة ، أو شيوعية مارقة ، وفسدت قواعدهم الاقتصادية فهاهي ذى الأزمة تأخذ بخناقهم ، وتمسك بتلابيبهم ، وهم عن علاجها عاجزون ، وفى مؤتمراتهم فاشلون ، واختلت معاهداتهم الدولية وتسرب إليها التعطيل والتبديل وانتقضت أسسهم الاجتماعية فلكل أمة أساس تسير عليه ، ولكل دولة نظام تدعو إليه وانحطت غاياتهم العملية فالعلم الذى هو أساس البشر وأصل هنائهم قد اتخذ سلاحا لتدميرهم وسبيلا لهلاكهم .

حسن البنا
المرشد العام للاخوان المسلمين



(١) بتصرف عن مجلة الاخوان المسلمين ٢٦ شعبان ١٣٥٢

طلائع النهضة فى أوربا

فجر النهضة

بدأت النهضة الأوربية بالتخلص من نيرين ثقيلين (١) نفوذ البابا (٢) الخضوع إلى سلطة امبراطور الدولة الرومانية، وبهذا انصرف الغربيون عن الخرافات والقيود التى كانت تفرضها الكنيسة ورسمها رجال الدين

وقد كان من أهم عوامل هذه النهضة اختلاط الغربيين بالمسلمين فى الحروب الصليبية، هذا الاختلاط الذى مكنهم من نقل الكثير من نظم المجتمع وطرائق الفكر وأصول العلوم ثم قامت (القوميات) فى فجر هذه النهضة تتخلص من سلطة الامبراطور، وتمرد رجال الفكر على سلطة الكنيسة، وكان عهد إحياء العلوم نتيجة طبيعية لما بثه عرب أسبانيا من علم وفلسفة فى قلب أوربا. إذ كانت الأندلس مهد الحضارة ومنار الثقافة، وكانت أيضا جامعة أوربا التى يهرع إليها كل طالب علم، ومن الأندلس بزغ فجر النهضة العلمية فعرف الغرب الطب والجراحة والفلسفة.

كذلك هاجر إلى أوربا كثير من علماء القسطنطينية بعد استيلاء الأتراك عليها هربا من الاضطهاد ونقلوا معهم الكتب والمخطوطات، فظهر على أثر ذلك فن الطباعة أول أحجار الحضارة الجديدة وأقوى دعائمها

ثم نهضت إيطاليا وظهر فيها الفلاسفة والعلماء، وانتقلت النهضة إلى فرنسا، ومن ثم بدأت الاستكشافات الجغرافية على ضوء كتب العرب عن السياحة فى البحار، إذ كانوا أسبق الناس إلى اكتشاف شواطىء الخليج الفارسى وأبرعهم فى الملاحة فى المحيط الهندى حتى استطاعوا الوصول إلى بلاد غانه.

الكشف

بدأ الكشف بيعوث هنرى الملاح ١٤٦٠ م إلى الشاطىء الأفريقى. وفاسكودى جاما إلى رأس الرجاء الصالح ١٤٩٨ فالساحل الغربى للهند. كانت

هذه الرحلات التى دشنتها دولة (البرتغال) باسم الاستعمار فى الشرق ، هى السبب الأول الذى مكن لها من أن تنتزع التجارة من يد العرب وتحتكرها . فقد أسست المعاقل الاقتصادية والمراكز التجارية فى بحار الشرق . ومن هذه الرحلات عرف الغرب ضعف الشرق بعد أن كان يتهيبه ، فاقتحم شواطئه بعد لأى غير خائف ولا وجل ، وسرت العدوى فى دول أوربا (انجلترا وفرنسا) فأعدت السفن وسلحتها بالرجال المدربين على الحرب ، لتحمى التجارة وتهاجم الشواطىء .

وكان أظهر حكام الشرق الاسلامى فى ذلك الحين هم (المماليك) ، وهؤلاء كانوا فى حالة تنازع وانقسام . وكانت تركيا على فراش الموت فتم لهذه البعثات التوغل حتى استولت على هرمز وعدن مفتاحى الخليج الفارسى والبحر الأحمر .

وكان الغرب المهاجم قد أعد عدته كاملة فقد كانت جيوشه برا ، ومراكبه بحرا ، مجهزة تجهيزا حربيا منظما ، لم تستطع دول العرب إذذاك بتفرقها وانقسامها أن تتغلب عليه

الاصلاح الديني

تبع حركة الكشف حركة أخرى أشد أثراً فى يقظة الغرب ، تلك هى حركة الاصلاح الدينى ، فقد كان للكنيسة الكلمة العليا فى العصور الوسطى ، وكان البابا أكبر مركزا من الامبراطور ، وقد بلغ سلطانه فى بعض العهود ذروة القوة ، حتى كان يعتقد أنه قيصر ، وأنه صاحب السيادة العليا على ملوك الأرض جميعا ، ولكن الكنيسة تدهورت حتى بلغت أشد حدود الجمود . فلما استفاقت روح النقد وتناولت كل الأنظمة كان فى مقدمتها المسيحية والكنيسة . ولما كان الضعف والجمود قد بلغ أشده بهما . فقد نبذهما المفكرون ظهريا وشغلوا بالفلسفة .

وقد كان القساوسة والرهبان لايفهمون من الدين إلا قشوره ، ويعيشون عيشة البذخ والترف والفساد (وكان البابا وأتباعه يتنعمون تنعما أثار شكوك

الناس فى حقيقة اتباعهم لتعاليم الدين الصحيحة . وكان الأمراء ينقمون على البابا وعلى رجال الدين تدخلهم فى كل شؤون الحكم . وفى مسائل الزواج والمواريث والوصايا . فاجتمع الرأى كله شعبا وأمراء ومفكرين على الثورة لطلب الاصلاح رغبة فى التخلص من سيطرة رجال الدين والاستحواذ على الممتلكات الواسعة)

وقد كانت صكوك الغفران تعطى من لدن البابا ليرفع عقاب الكنيسة عمن وقع فى ذنب فاصبحت تعطى للمغفرة فى الآخرة ولادخال الجنة . وكانت هذه الصكوك تدر أموالا طائلة عليه ، فاعلن (مارتن لوثر) سخطه على البابا وأخذ يفضح الكنيسة والبابا فى هذا الهراء الذى شغل به رجال الكنيسة عقول السذج والبسطاء قائلا : إن العفو الالهى عن أى خطيئة لا يكون إلا بالتوبة القلبية والاقلاع عن المعاصى ، وإن مايفعله البابا من بيع هذه الصكوك لجمع المال مشجع للناس على ارتكاب الخطايا ، وعلق على باب الكنيسة لوحه بها ٩٥ فقره مفندة لصكوك الغفران

وكان مارتن لوثر واحداً من المفكرين الذين تنبهوا إلى ماوصل اليه رجال الكنيسة من احتيال ، وما وصلت إليه عقلية الناس من جهل ، وذاعت اعتراضات مارتن لوثر فنبهت الأذهان خاصة بعد أن أحرق خطاب البابا المرسل إليه ـ والذى اتهمه فيه بالزيغ عن الكنيسة ـ علنا فى شوارع المدينة

ومن ثم تجمعت حوله فئة ممن فهموا فكرته ، وهاجموا الكنائس وحطموا ما فيها من صور وتماثيل وطردوا الرهبان من الأديره وأصبح لهم بعد قليل مركز رهيب معترف به . وقد عرفوا فيما بعد باسم (البروتستنت) .

وقد انقسمت المانيا تحت تأثير سلطانهم إلى حزبين مختلفين ناصرهم فريق وعاداهم فريق آخر ، وكان أعداؤهم أنصار (الكثلكة) . وانتهى هذا الانقسام بحرب أهلية سنة ١٥٤٧ م وانتهت باستيلاء الأمراء على ممتلكات الكنيسة

ثم توالت صيحات الاصلاح فظهر (رونجلى) سنة ١٤٨٤ و (كلفن) سنة ١٥٠٩ وكانت دعوة الأول تتلخص فى مطالبة القساوسة بالزواج والتعويل على الانجيل نفسه دون تعاليم الكنيسة . ولكن الحرب نشبت بين أنصار هذا المذهب وأعدائه سنة (١٥٣١ م)

أما حركة (كالفن) فكانت حركة تركيزية لأنها جاءت بعد هذه الحركات الثورية ، وكان لها أبلغ الأثر فى تاريخ أوربا ، إذ عول على الكنيسة . وكانت نتيجة هذه الأفكار الجديدة قيام الديمقراطيات ونشوب الحرب الدينية الأهلية فى أوربا بعد أن أزعج الكاثوليك انتشار مذهب (البروتستانت) فى أوربا ، مما دعاهم إلى محاولة تطهير الكنيسة مما علق بها من ضروب الفساد .

ثم ظهرت جماعة (اليسوعيين أو الجزويت) سنة ١٥٤٠ ، وكان نظام هذه الجماعة نظاما عسكريا صارما ، أساسه الطاعة العمياء للرؤساء الذين كان لهم التصرف المطلق فى رجال الجمعية وأموالها . وكانت شروط الاتصال بها تقتضى قطع الصلة بين الفرد وأسرته ، وتحتم عليه أن يظهر بمظهر الخشوع والانكسار والتقشف ، وقد حاربت هذه الجماعة دعاة (البروتستنت) وعممت نظام التربية والتعليم ، وتقدمت فى قلب أوربا ، ثم فى مجاهل أمريكا وأفريقيا والشرق الأقصى فكانت الهيئة التجديدية للكاثوليكية .

ثم عقد مجتمع (ترنت ١٥٤٥) رغبة فى التوفيق بين المذهبين ولكن دون جدوى فقد أصدر المجتمع قراراً ينص على أن سلطه البابا مستمدة من المسيح ! وأن عقائد لوثر فيها خلط . وانتهى بانتصار المذهب الكاثوليكى . ونجم عن ذلك التفكير فى القضاء على المذهب البروتستنى باعادة نظام محاكم التفتيش التى وصمت العصور الوسطى بسببه بالعار والتى تستمد سلطتها من البابا رأسا ولادخل للحكومة فى تصرفاتها وقضاتها من رجال الدين المتعصبين للكاثوليكية ، وجلساتها سرية . وكان من اختصاصها مراقبة المطبوعات والمدارس ، وفحص الكتب وهى تعذب أعداء المذهب بشتى الطرق وبمنتهى القسوة والوحشية ، وتصدر أحكاما غاية فى الصرامة إذ كانت تحكم بالاحراق أو السجن المؤبد أو مصادرة الأملاك ، وكانت هذه المحاكم تستعمل فى القرون الوسطى بايطاليا وأسبانيا ، وقاسى المسلمون من أهوالها فى الأندلس أعنف الآلام ، وذهب ضحيتها كثير من الأبرياء والمؤمنين الذين تمسكوا بدينهم ، وكان ذلك سبة فى وجه أوربا .

وفى سنة ١٦٧٨ قرر (لويس الرابع عشر) بعد أن عقد مجتمعا دينيا أن

الملوك يستقلون بالأمور الدينية عن سلطة البابا . وأن قرارات البابا فى الأمور الدينية لا تسرى على الكنيسة الفرنسية إلا بعد موافقتها ، وبذلك بدأت خطوات الاستقلال عن الكنيسة والتحرر فى التفكير عن الانجيل والتخلص كلية من المسيحية ، ومواجهة المجتمع بلون جديد من الفهم والحياة .

نزعة الشك

بدأ التفكير الغربى فى مسائل كروية الأرض والفلك وتعليل حركة المد والجزر ونظرية جاليلو . ثم اتسعت رقعة التفكير إلى نزعة من الشك اعتنقها المفكرون فنظروا إلى كل قديم من دين وشريعة وكتب وقوانين وعقائد نظرة الارتياب ومن هنا يأتى غيب المفكرين فى الشرق حين ينقادون وراء هذه النظرية الخاطئة الناتجة عن عجز المسيحية عن إقامة مجتمع يعطى أرباب العلم الحرية الفكرية الكاملة والعقيدة الصحيحة والبرهان الصادق ، وعجز هذا الدين عن تنظيم المجتمع على أساس قواعد التوحيد .

أوغلت هذه الطليعة فى الشك والارتياب حتى وصلت إلى السخرية والتهكم والاستهانة بل والاحتقار لكل مايتصل بالدين والروحية فقد أصبح الأمر أمر عداء وجحود للقديم وتعصب للجديد وللفلسفة وللتفكير الحر الطليق الذى يأبى الاعتراف بحدود الخلق وقواعد الفضيلة .

ولهذا كانت أمثال هذه النظريات مما لا ينطبق علينا نحن أصحاب دين الحق ، دين السماحة والكرامة والسمو ، دين الإسلام ، ذلك لأن ديننا تقوم دعائمه على الحجة والبرهان والمنطق والدليل فتنتظم مسائله وقواعده جميعًا فضلا عن البساطة والوضوح الملازمين لكل ما يتصل به ، كذلك سعة الأفق وحرية الفكر من قيود العواطف العاصفة والغرائز الهائجة .

كما أن نظام المجتمع وقواعد الحياة التى رسمها الإسلام تعطى للمفكر والعالم والباحث ، والغنى والفقير ، والأمير والصغير ، القدرة الكاملة على الحياة فى حدود الاعتدال والتعاون والاخاء وتنظم العلاقات بين الأوضاع المختلفة فى دقة ويسر فيقيم الحدود ويعين على تأمين المجتمع .

وعلى ذلك فالذين يأخذون قواعد النهضة من أوربا ليطبقوها فى الشرق يخطئون لأن أولئك نظروا فى دينهم فوجدوه ضعيفا واهيا أمام البحث العلمى وأمام التحقيق العقلى فنبذوه وسخروا به وتخلصوا منه ، واتجهوا وجهة أخرى يلتمسون منها هديا ، ولكننا بوضوح ديننا وجلال شرعتنا ، وكمال قرآننا لا نحتاج إلى هدى من فلسفة ضالة أو تفكير تجريدى ماحل . ولدينا أسس الحضارات وخمائر العلوم والأفكار ، ولنا من رحابه ديننا ما يمكننا من أن نأخذ الحكمة أنى وجدناها ، وأن نستعين بخير مافى الحضارة من علم وكشف على أن تحمل روح الخير دائما ، ونجعله من أدوات السلام والرحمة والاسعاد للناس جميعا .

والغرب لا يشك إلا وهو يعرف تماما أن كتابية (التوراة والانجيل) قد حرفا عن الأصل بفعل الأحداث والضغائن ، فضلا عن أن المسيحية لم تكن يوماً من الأيام شرعه لتنظيم حياة وإعداد مجتمع ، إنما كانت شرعة وقت معلوم ، جاءت لتخفف من غلواء اليهودية التى وصلت إلى حد بعيد فى الأسفاف والمادية ، نعم جاء المسيح عليه السلام يدعو إلى السلام واللين والرحمة وكانت اليهودية فالمسيحية توطئة وتمهيدا وأعدادا للدين العالمى الخالد : الإسلام الحنيف .

والإسلام الذى جمع بين العقيدة السمحة السليمة وبين تنظيم قواعد المجتمع الصالحة المركزة والذى جاء للناس كافة وللدنيا جميعا ، وللعصور كلها هو الذى حوى الأسس والأصول وترك للأئمة المجتهدين التفاصيل والفروع ، والذى ذخر بمادة واسعة من التشريع والفقه فى أبان النهضة الإسلامية ، وفى عصور الحضارة الإسلامية بفضل جهود العلماء فى دروس الموازنة والاستنباط والتفريع والتشقيق والتخريج ما أصبحنا به نملك مراجع ضخمة نستعين بها على مواجهة المسائل العامة والظروف المختلفة وما يمكننا من إقامة قواعد المجتمع على أساس متين مركز فضلا عن فائدته فى تغذية عقل المشرع من رجال التقنين بالمادة الواسعة .

أما (نزعة الشك) هذه فقد ولدت أخيراً (الثورة الفرنسية) التى لم تعترف بالأديان ولا بالروحية والتى جنحت إلى الالحاد الأغريقى وركزت فى المجتمع

فكرة الشهوة التجريدية فأصبحت قواعد البعث ، والحضارة الغربية تعتمد على أسس داعرة صاخبة مجتمعا ، ملحدة متعصبة عقلا ، ثم هم بعد ذلك يذيعون فينا أن الثورة الفرنسية ثورة الحرية والاخاء والمساواة ... وأقل مطالع يعلم أن علاقة أوربا دائما بالأمم كانت علاقة الظلم والطغيان والاستبداد .

حضارة كهذه لا تؤمن بالله ، ولا تعترف بالأديان وتغرق فى الشهوة واللذة وتزخرفها ، وتخلق الماكينة لتستعين بها على الحروب والتدمير ، وتقوم فى غايتها الأولى على الاستعمار والاستبداد ، والتشاحن المذهبي والنضال الطائفى والعنصرى إنما تقوم وفى أعماقها عوامل هدمها وتحطيمها ودمارها ، وهذا ماهى صائرة إليه فى القريب .



موقفنا من الحضارة الغربية

* بقلم فضيلة الاستاذ الامام حسن البنا

(١) لقد وصلت الشعوب الغربية من حيث العلم والمعرفة واستخدام قوى الطبيعة والرقى بالعقل الإنسانى إلى درجة سامية عالية يجب أن تؤخذ عنها .

(٢) عنيت بالتنظيم والترتيب وتنسيق شئون الحياة العامة تنسيقا بديعا يجب أن يؤخذ عنها كذلك .

(٣) الحضارة الغربية والحياة الغربية قامت على العلم والنظام فأوصلها المصنع والآله إلى جبى الأموال والثمرات وملكها نواصى الأمم الغافلة .

(٤) هذه الحياة المادية الميكانيكية البحته صحبها خصومة حادة بين علماء الدنيا وحراس الدين .

(٥) أغفلت هذه الأمم أخص خصائص الإنسانية فى الإنسانية ـ الغرائز ومستلزماتها والمشاعر ومطالبها ، والنفس وعالمها ، وطرائق تنظيم ذلك كله وضبطه ضبطا يضمن خـــيره ويحبس شره ، ودفعت به دفعا عنيفا إلى التبرم بالعقائد والأديان والخروج عليها خروجا قاسيا شديداً وأقصاءها تماما عن كل نواحى الحياة الاجتماعية العملية .

(٦) اسقطت من حسابها جـــلال الربانية والتسامى بالنفس الانسانية والاعتقاد بالجزاء الأخروى .

(٧) عرفت باضطراب المقاييس الخلقية ، وانطلاق غرائز الشر من عقالها تحت ستار الحرية .

(٨) تحطمت الفضائل فى نفوس الأفراد ، وفسدت الصلات بين الأمم ، وأصبحت القوة لا العدالة شريعة الحياة .

(٩) تذوق نيران هذه الحرب الآمنون والمحاربون على السواء .

الحضارة الغربية

بقلم الدكتور محمد حسين هيكل باشا

(السياسة في ١٤ أبريل ١٩٣٤)

« . . . ذلك بأن السنوات التى أعقبت الحرب قد عفت فى النفوس على قواعد الخلق ، وهدمت فى القلوب أركان الإيمان ، وجعلت الأثرة أساس الحياة ولم تترك الفرد يفكر فيما وراء هواه ، أو يقدر معنى التضامن بينه وبين الناس جميعا فى مختلف أنحاء العالم، هذه الأثرة هى التى جعلت مبدأ القومية يصل إلى مكان العبادة عند الشعوب .

فالحضارة الأوربية التى دعت نفسها حضارة العلم قد اصطبغت منذ زمن بعيد بلون أعطاها صبغته فجعلها حضارة الاستعمار . وجعل العلم وجعل العقل وجعل النفس وجعل كل ما فى الحياة من قوى فى خدمة هذا الاستعمار الذى لا يبغى إلى نشر العلم ، أو الدعوة إلى عقيدة جديدة ، وإنما يبتغى استغلال ماسوى أوربا استغلالا ماديا بحتا ، والاستعمار على هذه الصورة أنانى بطبعه . أنانى حتى ليستهين بالقتل وباستئصال الأجناس وبكل ما يقف فى سبيل غايته الاقتصادية المادية الصرفه .

وهذا الاستعمار قد استطاع فيما قبل الحرب أن يخفى لونه الحقيقى وأن يزعم لنفسه غايات هى تحضير الشعوب القليلة الحضارة ، فلما وقعت الحرب بتأثير أرباب المال فى العالم زادت العواصف الأنانية نموا فى نفوس تنطوى على حظ غير قليل منها ، وكان من أثر ذلك هذه الأزمة الاقتصادية الشفيعة ، وليده الخلاف بين المـــال والعمل ووليده التطرف فى نظرية القومية ووليده هذه الحضارة الاستعمارية » .

حضارة الاستعمار والتغريب

« وكم أهلكنا من قرية بطرت معيشتها فتلك مساكنهم لم تسكن من بعدهم إلا قليلا وكنا نحن الوارثين »

قرآن كريم

بدأ البرتغاليون يكتشفون طريق الرجاء الصالح فيقتحمون الشرق ويصلون إلى الشواطىء الاسلامية فيحتلونها وينظمون هذه الرحلات الكشفية التجارية تنظيما دقيقا ، والمسلمون فى غفلة عنهم وفى ضعف عن الاحتكاك بهم فقد كان الغرب يستيقظ من نومه ، وكان الشرق قد بدا يغفو غفوته التى حكم عليه بها ارتباطه بالامبراطورية العثمانية

ومن قديم كان الغرب يعرف التجارة وقد انتقل تجار الافرنج إلى آسيا الصغرى وأنشأوا سوقا للتجارة فى (فيلتفيا) باسيا الصغرى ثم عرفوا بعد ذلك الأسواق المتنقلة . واتصلوا بسواحل الشام . (١) (وكانت بيروت أكبر هذه الثغور ، وأكثرها تجارة لأنها مقابله (لقبرص) ملجأ الأفرنج وأقرب الثغور للتجارة الإيطاليين من البندقية وجنوه) ومن ثم بدأت الجمهوريات الايطالية تنشىء قنصليات جديدة فى بيروت لحماية التجار ولرعاية العلاقات التجارية بين إيطاليا والمشرق . (٢) (وانتعشت الموارنة واتصل الأمر بينها وبين المسيحية فى أوربا مما أدى إلى اهتمام دولة أوربا وخاصة فرنسا ـ بالشام)

ثم عرف الغرب طريق رأس الرجاء الصالح كما أسلفنا فبدأت عمليات الاستعمار لابسة ثوبا من التجارة على سواحل الخليج الفارسى والهند وهنا ضربت العزلة على العالم الاسلامى بعد أن عطل طريق تركيا التجارى

وأخذ الغرب ينشىء الشركات والمصانع فوفق بذلك فى الزحف على الشرق بما لم توفق إليه الجيوش ، ومن الواضح أن أوربا كانت قد خرجت على الدين وتحررت منه وحلت فيها الوطنية محله ، واستفاقت فى الغرب

(١) ، (٢) الشرق الاسلامى لحسين مؤنس

نزعة الجنس وسلطان القومية والرغبة إلى الغلب . فلما حدثت الصدمات الأولى بين الإفرنج والمسلمين عند سواحل الهند عرف الغرب ضعف المسلمين ، وسقطت هيبتهم فى أعين الغربيين ، وكان الغرب قد ازداد خبرة ومرانا واختراعا فشمل ذلك ميدان التسليح وأعداد الجيوش ، والحركات الحربية وهندسة الميدان . والشرق لا يزال على جموده وغفلته ناسيا قول الحق تبارك وتعالى (وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة)

* * *

كان الغربيون يغزون الشرق غزوا استعماريا تجاريا ، ولكن الشرق الاسلامى لم يحارب إلا دفاعا عن حظيرته وحريته ونشر دينه وسيادة مبادىء العدل والسلام فى الأرض

لذلك لم يغفل الغرب حين جرد حملاته على الشرق أن يجردها باسم الدين ليستطيع استغلال الجنود السذج فيجعل الفكرة الصليبية عنوانا لبعثاته ، حتى يقذف فى قلوب الجنود روحا معنوية قوية ، ومن ثم تدافعت الحملات الصليبية الواحدة تلو الأخرى مصدرها العقيدة، فباسم التبشير وباسم النصرانية غزت أوربا الشرق واحتلت الموانى ، وركزت التجارة ، ثم حولتها بعد ذلك إلى قواعد حربية استعمارية

كانت التجارة هى المأرب الظاهر أولا ، وكان يصحب البعثة التجارية دائما بعثة تبشيرية تبنى الكنائس والمستشفيات والمدارس ، وتبث أفكارها الغربية الجديدة فى الشرق لتنزع منه روحه الاسلامية الثابتة التى عرف مدى مراسها وصمودها خلال حقب التاريخ ، لتحل بدلا منها روحا شاكة حائرة مخنثة ساخرة من الدين والماضى ، راغبة إلى بريق الحضارة ، مشيدة به ، متنكرة لعزة الاسلام ، منحرفة إلى اللادينية، لأن اللادينية لاتهدم الا الدين الحى ، وهو الاسلام من غير شك

* * *

فعل الغرب ذلك كله لأنه كان يعرف أن عدوه الأول هو الاسلام ، وإنه أشد العقبات فى طريق الاستعمار والاستعباد ، وأنه نبراس السعادة ومعين القوة وسبيل العزة

معتنقوه دائما هم أباه الضيم ، لايقيمون على ذل أبدا ولا يرضونه ، وأصحابه هم المجاهدون المكافحون الذين لا يسكن جهادهم وكفاحهم مهما أظلمت الدنيا أمامهم ، ومهما أصابهم المستبد بألوان النكال ، وذلك لأنهم يعملون لله خالصين لايخافون أحدا غيره ولا يخشون سواه وهم يعلمون أيضا أنهم الأعلون وأن الله معهم ، وأنه قد وعدهم أجر الصابرين وجزاء المجاهدين فإن ماتوا فشهداء وإن عاشوا فسادة أحرار

* * *

وقد أدهش الاسلام الدنيا بسرعة نفاذه إلى الأقطار والقلوب ، وتزايده تزايدا لامثيل له فى كل زمان ومكان فضلا عن أن معانيه العالية ومراميه الرفيعة لا تزال محجوبة عن بعض الأبصار والبصائر تحت ستار توجيه بعض العلماء من صنائع الاستعمار ، ووراء حجب التغريب الذى يغرى به المستشرقون الاستعماريون بعض السذج والاغرار ممن تلمع عيونهم ولاترى

ويكفى أن الشرق كله لا يحمل للغرب الآن أى خير بل يحمل له السخط والنقمة فقد عرف عنه جحوده وخلف وعوده وافعوانيته وسوء نيته ، وقد استيقظ الآن لجمع كلمته ، لايريد من وراء تجمعه أن يضرب الغرب ضربة الانتقام فإنه لن يفعلها ، وإنما يتجمع ليحقق عزته وكرامته . ذلك لأن الشرق شريف لايتجمع لحقد ولا يتكتل لتعصب ، ومن قبل عرف الشرق بالسماحة والعدالة ، ومنذ فجر الدنيا وهو مهبط الأنبياء ومنزل الروحانيات والأديان ، فهو كريم الأصل طيب المحتد ، وسيكون طيبا كريما لا يغضب إلا لعزته ، ولا يثور إلا لكرامته إذا حاول أن يهدرها الاستعمار الغاصب

* * *

عج الشرق بالنازحين من الغربيين ، رسل الاستعمار والتخريب والاستبداد، ورسل العداء للاسلام الحنيف ، رسل الانتقام من الفتح الاسلامى الذى حاصر أوربا من شرقها سنة ١٣٠ هو حاصرها من غربها سنة ٩٣٠ هو توغل فيها بنشر رسالته الكريمة، رسالة الحق والخير والسلام والعدالة التى أرسل الله بها رسوله للناس كافة

جاء الغرب فى غفلة الشرق لينتقم باسم الصليبية وباسم الحقد والعداء الكامن فى صدر الضعيف عندما يصبح قويا . وما كان الاسلام يوم قذف كتائبه على أرض أوربا يبغى استعمارا ، إنما كان يبغى إذاعة الدين المتين ، وإعلان الرسالة الكاملة ونشر التشريع الحكيم الذى عرف الغرب جلاله فانكره لتعصبه؛ هذا التشريع، الذى لا يتم للانسانية السلام والأمان والاطمئنان إلا بإقامة نظامه وتنفيذ قواعده وبه تموت روح التقاتل والتنافس على الغنائم ، والتناحر على أرض الشرق والتنازع على كيان المسلمين

* * *

قذف الغرب الجاحد بلاد الشرق الاسلامى برجاله وتجارته ومبشريه ومستشرقيه وجنود الاستعمار وصنائعه وهم يلبسون مسوح الحضارة والعلم . وكانت تركيا فى حالة النزع فلانت للذين حموا عرش خلافتها ومنحتهم تلقاء ذلك الامتيازات . وأدار الغربيون دولاب الاقتصاد والتجارة واشرف قناصل الدول على هذه الحركة الاستعمارية الملثمة التى ثبتت قواعدها وقوائمها فى أرض الاسلام ، فوجد هؤلاء فى كل مكان من آثار الضعف والغفلة ما زادهم جرأة وأعانتهم أساطيلهم وقناصلهم وقوانينهم على أن يسيطروا ، وأقاموا المصانع والمتاجر ورهنوا العقار واشتروا الأرض ، وأباحوا لأنفسهم من الحريات ما لم تسمح لهم بها حكوماتهم فى بلادهم

وغرسوا بذور الأوبئة الأوربية التى أسموها (حضارة) فى التربة الاسلامية ونمى غراسها دعارة ومجونا ، والشرق غافل عن دستوره ودينه ، أقدموا إلى

بلادنا الخمر والنساء والفتنة والمسارح والملاهى والمراقص وأفكار المجون ونزعات الخنوثة وأساليب الدعارة والكشف عن اللذة فضلا عن مذاهب الشك والالحاد باسم الثقافة ، واستفاق الشرق من غفلته على صدى الشهوة الجارفة واندفع يقذف بنفسه فى هذا التيار فضعفت فى شبابه روح الرجولة والعزة وكادت أن تأتى على قوة جسده ، وهى عماد الوطن والجهاد وعلى مدخر ماله وهو عتاد العزة وقوام النهضة ، فقد تجمعت المخدرات والشهوات والخمور وإحاطته من كل مكان ، لولا أن صوتا داويا أرسله الله إلى الأرض يدعو فتستفيق له القلوب العاكفة على اللهو، والعقول المنطوية على الجهل، مستيقظة متنبهة ، ذلك صوت الاسلام الذى حاولت حركات التغريب والالحاد أن تخفته ، ذلك صوت القرآن الذى تعطلت أحكامه ، صوت الوحدة وصوت التاريخ الحى ، ذلك صوت محمد رسول الله من وراء حقب التاريخ

***

عندئذ بدأ الشرق ينتفض ويدرك عزته ويفهم كرامته ويقدر وحدته ويذود عن حريته ، فحاول أن يتخلص من شر هذه الحضارة لأنها هى القيد الاجتماعى ، ليضع بدلا منه خيرا أصيلا مستمدا من الاسلام أو يبقى على ما فى هذه الحضارة من خير لأنه ضالة المؤمن

وهو سائر فى طريقه يحطم قيود الاستعمار والتغريب وسدود السياسة والاقتصاد التى كبلته هذا الوقت الطويل والتى فرضت عليه منذ أسفر الاستعمار بعد انتصار الحلفاء فى الحرب الكبرى الأولى ، هذه القيود التى حاول بها الغرب القضاء على أمال العرب وحريتهم وحقوقهم وكيانهم وبها قسموا الأقطار الاسلامية إلى دويلات بل وقسموا القطر الواحد إلى أقطار ، فضلا عن

التفرقة بين العناصر المذهبية والاحزاب السياسية ، وإثارة روح التنافس والحقد والتعصب بينها حتى لا تلتئم وحدتها .

* * *

جاهد الشرق الاسلامى خلال الحربين ، واليوم وقد عمت اليقظة فبدأ الاسلام يزحف زحفا قويا الى قواعده ولم تعد القوميات الوطنية تغنى مطلقا عن الوطن الاسلامى العام ، ولا عن الجامعة الاسلامية التى هى أمل الجميع . والشرق سائر بفضل الله إليها سيرا مضطردا ، يدق الفواصل ويحطم الأسوار المقامة بين أقطاره وبلاده بسرعة فائقة وإيمان عميق ورغبة صادقة فى الاتجاه نحو الهدف الأعلى : أقامه أحكام الله فى الأرض وسيصل الشرق بفضل الله وقوته إلى غايته فى القريب ما استعان أبنائه بالصبر ، وما ذلل عقباته بالتضحية ، وما رفع راية الاسلام بالتماسك والبذل والفداء .



الغرب والأديان

(رصدت كنيسة وستمنستر مبلغ مليون
جنيه للتبشير بالمسيحية بين مسيحى انجلترا)
أخبار اليوم ١٩٤٦

يختلف فهم الشرق للأديان عن فهم الغرب لها ، فالشرق يرى أن الروحية جزء منه لا يتجزأ لأنه منبع الأديان وموطن الرسالات ، فضلا عن ذلك فإن النزعة الدينية فى الشرق تتمثل فى الإيمان بالله والإيمان بالقدر ولا تحول الخلافات الدينية مطلقا عن الوقوف جبهة واحدة فى وجه الغرب .

ومسيحى الشرق لا يتوانى عن الكفاح ضد مسيحى الغرب لأنه يرى أن الغربى الذى يتعدى تعاليمه الدينية ، تعاليم السلام والحرية والأخاء إلى ذلك الطغيان والظلم والاستبداد الذى يفرضه الغربيون علينا لا يستأهل التقدير بل يجب الوقوف أمامه وقفة النضال والخصومة ، ويرى أن حريته ووطنيته هى فى استقلاله والمحافظة على كرامته أكثر مما تكون فى احتمال طغيان الغاصب ولو كان من دينه

كما أن المعروف أن الغربيين لا يؤمنون بالمسيحية كدين ، ذلك لأنهم شعروا منذ وقت طويل أن قيود المسيحية تحول بينهم وبين الحياة الحرة القوية المندفعة فآثروا هذه الحيـــاة على ذلك الدين ، وتحرروا بذلك من قيود الدين نفسه واستباحوا لأنفسهم نقض قواعده فأقبلوا على الربا والزنا والخمر وذللوا الوسيلة للغاية فلم يبالوا مطلقاً فى أن يصلوا إلى أغراضهم الجشعة الاستعمارية بأساليب الخداع والخيانة والطغيان والكذب والنفاق والمداهنة والتضليل والمراوغة والختل

وبهذا التحلل من الأديان استطاعوا أن يتحرروا من كثير من القيود فتحكموا فى بنى الإنسان وقسموهم درجات وفرضوا فى أنفسهم العزة والسلطان والقوة وفى غيرهم من أمم الشرق الضعف والذلة والعبودية ، ولم يبالوا فى سبيل هذه السيادة وفى سبيل ذلك الاغتصاب من سحق كرامات هذه الأمم وإذلال أحرارها وقتل روح الوطنية ومعانى الحيوية فيها واستعمال أساليب عجيبة جهنمية

طاغية لا ظل لعدالة معها ولا كرامة ، ولا حفاظ على حق من الحقوق .

وهم بهذا قد جعلوا بينهم وبين المسيحية بل وبين الأديان جميعاً بل وبين الروحية بابا صفيقا وحاجزاً ضخما فما كانت هذه الأخلاق ولا هذه الأساليب إلا أشبه بأساليب المتوحشين من سكان الغابات والأحراش إن لم تزد

وإذا كان الغرب قد أنكر المسيحية كدين فانه اعترف بها كعصبية يقاوم بها روح العصبيات الدينية ويستغلها فى قيادة الجيوش باسم الدين كما قامت الحملات الصليبية ، ويحاول أن يسحق الاسلام ودوله انتقاما دينيا محضا وتعصبا ضد الاسلام لا يقوم على أساس من المنطق وإنما يقوم على أساس من السياسة الاستعمارية الرأسمالية التى ذللت لها كل شيء .

حقا ، لقد ذللت هذه السياسة قوى العلم والفكر والمادة والمصنع فى سبيل تثبيت قواعد الاستعمار فى الشرق ومن هذه الوسائل محاولة التحطيم العقلى والروحى والجسدى للشباب فى الأمم العربية المسلمة حتى لا تقوى كتائبه على النضال وتمزيق الأوطان والشعوب بالفرقة ، والأحزاب حتى لا تلتئم قواه ولا تتجمع صفوفه ، ثم محاولة إقصاء الاسلام عن ميدان الحياة العامة وتجزئة المسائل المتفرعة منه إلى دين وسياسة واقتصاد وقانون ، وفى سبيل اقصاء الاسلام عن ميدان الفكر والمجتمع تثار نظريات الكفر والالحاد والتحرر الفكرى والمغالطات التاريخية القانونية وتباح ألوان من الاباحة والاسراف وتصادر القوى العاملة وتجند الأقلام المأجورة والجماعات المدخولة لمحاولة تعطيل الفكرة الاسـلامية عن الزحف .

ولكن ....

الفكرة الاسلامية لابد أن تزحف وقد جندت كتائب أشد مما جند أعداءها قوة وعزما وحياة وقدرة على الكفاح وصبرا على الجهاد .

ومن آثار تخلف الغرب عن دينه وعن الروحية عامة مازال يقاسى الويلات والاضطرابات فى المجتمع والفكر وتتقلب أوضاعه من ديكتاتورية إلى نازية إلى فاشية وإلى ديمقراطية وإلى شيوعية ولن يستقر على حال مادام يتنكر للروحية وينصرف عن الأديان وسيظل مبلبل الفكر مشرد الخاطر مالم يعد مرة أخرى إلى روحانية الشرق .

* التغريب والاستعمار باسم الحضارة

بقلم الدكتور هيكل باشا (بتصرف)

« تقدم الغرب لمعاونة الشرق معونة من يريد أن يستغله استغلالا اقتصاديا فاحشا تحت لواء حضارته ، فحضارة العلم قد عنيت في الشرق بتضييق نطاق العلم غاية التضييق وعكفت البعثات البشرية فى البلاد التى ظلت مستملة على بث التاريخ المشوه للشرق فى نفوس أبنائه ، وعلى إشراب تلاميذها العقيدة بأن الشرق بحكم دينه الغالب وبحكم تاريخه لا سبيل إلى تقدمه ما لم ينزع عنه ثوب هذا الدين وما لم يفصل بينه وبين ماضيه بسياج متين . وأصبح التعليم أداة لتخريج موظفين يدينون بالطاعة والأذعان للغرب صاحب السبق والتقدم أو صاحب النفوذ السياسى فى البلاد .

كان الاستعمار الاقتصادى يتخذ من علم الغرب ومن أدبه ومن فلسفته وسيلة لإضاعة ما عند الشرق من ثقة بنفسه ولإقناعه بأنه أصبح إلى أجيال عالة على الغرب لا سبيل له إلى الاستغناء عنه .

هذه الصورة التى رسمنا تدلنا على أن أوربا قد غزت الشرق غزو استعمار لا غزو حضارة . غزته غزوا ماديا لم تقصد منه إلى أن تظله بلواء حضارتها العالمية . بل غزواً اقتصاديا كان كل غرضها من ذلك استغلاله استغلالا اقتصاديا

لكن الغزو الاسلامى كان إلى جانب الغلب السياسى يقيم حيث أقام روحا معنويا ونظاما روحيا ولم يعمد يوما إلى أضعاف ثقة الأمة التى نزل هذا الغزو فيها بنفسها ولا هو عمد إلى تشويه تاريخها وحبس العلم عن أهلها .

ويشهد التاريخ أن الحضارة الاسلامية أظلت بلوائها كل بقاع الأرض التى انتشر الاسلام فيها . وإنما نشر الغرب حيث ذهب حضارة استعمارية قامت على أضعاف الروح المعنوى فى الشعوب التى نزل فيها وعلى قتل معنى الاعتماد على النفس فى تلك الشعوب كما نشر بينها روحا ماديا قتالا للايمان بكل المعانى السامية أو المثل العليا موطدا للاستعمار وآثاره . وهذا الروح المادى هو ما يعمل المستعمرون لنشره أنى ذهبوا لأنهم يرونه الصلة الوحيدة التى تربط الحاكم والمحكوم .

الماكينة قاعدة الحضارة

كان من عوامل نشاط الفكر أن أبدع الحياة الصناعية ، فتقدم الطب وتقدمت الهندسة وتقدمت الاله ، وكان هذا هو الجانب الخير من الحضارة الذى أمد الانسانية بوسائل الرحمة والسعادة ومكن للناس من تحقيق أغراضهم فى سرعة ، وفى راحة ، ولكن هذا التقدم الصناعى نفسه لبس ثوبا جديدا حين أسرف فى الاتجاه الصناعى حتى أصبح هذا النشاط الصناعى كله منصبا على إعداد الحياة بكل وسائل الترف والمتعة فى القصر والشارع والملهى ، وأعان على ذلك طغيان الرأسمالية والتحلل من الفكرة الدينية والقاعدة الخلقية .

وأصبحت الحياة ماكينة تنتج فى سرعة . وصار هناك فراغا واسعا يستهلك فى الخمر والرقص والعبث ، ومن ثم فسد البيت وتقوضت دعائمه . وضاع الشباب الحدث فى تيار من الاغراء والمجون وأصبح يستمد فهمه للحياة من مدارس جديدة ، الكتاب والمذياع والسينما ، وكلها تنفث سموم الاغراق فى اللذة والتخنث وتزين هذه اللذة وتعين على خلقها

نتيجة لذلك تفككت عرى القيم المنزلية الحية ونزلت المرأة ميدان العمل

ثم ضغطت الماكينة السريعة الانتاج على اليد العاملة فأحدثت أزمة العاطلين وصبغت الحياة بصبغة السرعة فى كل شىء ، فى التفكير والعمل والانتاج فضاعت روح التركيز والاناة والهدوء .

ولما كان المصنع نفسه أداة شر على الأيدى العاملة وعلى الفكر الهادى المستقر فقد أصبح شراً أكبر اعندما اندلعت نيران الحرب – وأخرج الدبابات والطائرات والغواصات والبواخر والقنابل وغيرها من كل فتاك ومدمر . وأذاق الانسانية أشد ألوان العذاب والهدم والفناء والدمار . كذلك من جراء افساد الحضارة للمجتمع بالترف واللهو والمجون ضاعت الروح المعنوية القوية ، وبادت الرجولة الصلبة وحلت الروح الفردية محل الروح الجماعية ، وكذلك انقلبت الماكينة من قاعدة فى السمو والحضارة إلى قاعدة للدمار فى الحرب وإزهاق الأرواح وقتل

الآمنين وفناء الشباب فكم خربت الماكينة فى الحرب من قصور وكم أهلكت من رجال وعتاد .

ويعقب الحرب دائما عصر من الطيش والتهور ، له ثقافة خاصة واتجاه خاص فقد يرى الشباب أن الحروب قد أفنت القوى وأهلكت الناس فلا فائدة مطلقاً من الجد والعمل والعقل والدين والخير أن تنطلق الشهوات عارمة جارفة وأن يأخذ الناس بحظ من الحياة ومتعها ، وكذلك الحرب شر فى ذاتها وشر على نظام المجتمع فى الجيل التالى لها

وقد كان للآله أثرها فى إنقاص مجهود الانسان البدنى إلى حد أصبح يكفى معه الضغط بإصبع اليد على زر صغير ليتحرك أضخم آلات الطهى والاضاءة والزراعة وغيرها ، ومن ثم بانت الآلة سيدة العالم وبات الانسان المتحضر عبدا لها .

عرف هذا العصر كله منذ بدأت الآلة تتسلط على الحضارة، بعصر الرأسمالية فقد أصبح الهدف الاول لها هو الوصول إلى الحد الاقصى لتضخم رأس المال ، وهذا لا يأتى إلا بجنون الانتاج ، وكذلك عرفت هذه الحضارة بحب التسلط وعبادة القوة ، وهى فى سبيل ذلك تضحى بالانسان الروحى والاجتماعى فى سبيل الانسان المادى ، وأصبح رجال المال يستنزفون دماء العمال ويستمتعون بنتاج كدهم ، ويجمعون الثروات الطائلة على حسابهم ويسوقونهم كذلك إلى الحرب مرغمين ـ وقد دعا هذا الانتاج الضخم إلى التفكير فى غزو أسواق الشرق وفرض الضرائب وإيجاد الحواجز الجمركية وإغراق الاسواق .

وكذلك أصبحت هناك عبودية تامة للآله ، واختل التوازن فى أوربا ـ أقلية ضئيلة تحيى حياة الترف والاستمتاع على حساب أغلبية ترهق بالعمل وكذلك سحق الفقير والعامل فى سبيل الرأسمالية التى أخذت تشيد المبانى العظيمة والآثار الخالدة وتكتنز الثروات الضخمة وأصبح قوام قاعدة الحياة الحديثة هى إنماء قوى المادة والجسد والعمل لها مع اغفال قوى الروح وحاجاتها وظمأها وقواها المعنوية ، وإنماء قوة الانتاج وتنظيم العالم تنظيما ميكانيكيا يشمل التقدم الصناعى وسرعة الاستهلاك ـ وقد راضت الروح الالية الناس على حب السرعة

فى كل شىء ، فى العمل والانتاج واللهو والمطالعة والتفكير ، وألغت الطائرة حقيقة السفر وتذوق جمال المدن واستطلاع أخلاق أهلها وعاداتهم

قاعدة الحضارة الآلية هى القوى المادية الحسابية وتقدير الكم بدلا من الكيف والإيمان بمقاييس الدولار والفرنك والطن والكيلومتر ، حتى أثر ذلك فى الخلق فأصبح الانسان لا يرى العالم إلا من خلال المصلحة ، فانحطت تبعا لذلك الكرامة الانسانية وتسممت الروح الفردية وأثرت الحروب بعد ذلك فى قوى العامل البدنية وأفقدته ثقته بنفسه ، فاندفع إلى اللذات ليذبى ويستمتع كحيوان وكذلك عملت الآلة لانتهاك مبادىء العدل والحرية فأصبحت الطائرة تنسف المدن الآمنة وأصبحت المدمرة تنسف السفن البريئة والسينما والمسرح تنسف الأخلاق نسفا وقد تنبه بعض الكتاب فنادوا بالرجعة إلى آسيا ودراسة آداب الشرق وأديانه وروحانيته وتلقيح الحضارة الأوربية بها ودفع الفرد الأوربى إلى الاهتمام بروحه والحد من الجشع المادى والاتصال بالله عن طريق الصوفية أى بواسطة القناعة والتأمل والتطهر فإن كان الغرب مخلصا فى اتجاهه هذا فهذا ديننا الاسلام نعرضه كنموذج للروحية الصحيحة والعقيدة السليمة ونقدمه كتجربة ناجحة للمجتمع الكامل القوى الذى يشمل عوامل الشفاء لكل ما أصاب الانسانية من جراح وآلام



نقل مراقبا

عداء الاستشراق للاسلام

سلط الغرب مستشرقيه فى مقدمة القوى التى سلطها باسم الاستعمار على الشرق ، وقد عمل رجال الاستشراق فى العالم الاسلامى وهم يلبسون ثوب العلم البرىء من السياسة المجرد من الهوى ، ولكنهم فى الواقع كانوا أعنف قوى الهجوم ، وافتك آثار الاستعمار ، وقد جاءوا فى ركاب البعثات العلمية ليحوروا ما يستطيعون تحويرة مما يتصل بالاسلام وتاريخه وأفكاره وثقافته ، وليقدموا للغرب خلاصات دقيقة لمدى ما وصل إليه أثر الحضارة الغربية فى العقول الشرقية ، ومدى ما وصلت إليه عوامل الغزو والتغريب فضلا عن إرشاد عمال الاستعمار إلى نتائج التجارب الدقيقة للعوامل الضالة فى سحق الشعوب والوسائل التى تعين المستعمر على نفث سمومه وتركيز قواعده فى قلب الأوطان الاسلامية

وطبيعى ،كان الاسلام كدين وكنظام اجتماعى وكمصدر يشتمل الحياة من جميع أقطارها ، هو أول ما اتجه إليه هم دعاة الاستشراق محاولين النيل منه ، مستعينين بالخونة المستغربين من أبناء البلاد على بسط الأفكار الالحادية باسم تجريد الفكر من قيود الدين وآثار الماضى وباسم تحرير الرأى من قيود الجمود وآثار القرون الوسطى

والمذهب العلمى التجريدى الذى يدعى الغرب أنه قاعدة الفكر الحديث تنمحى أثاره وتذوب معالمه إذا اتصل البحث بالاسلام وتاريخه وأفكاره وتحل بدلا منه روح تعصب صليبيه جامحة تنفث السموم القاتلة

وهذا فوليتر الرجل الذى يدعى أنه حر الفكر والذى سخر من كل شىء فى الدنيا ، من الدين ، من المسيحين ومن المسيح ومن التقاليد ومن المجتمعات ، يتملق الكنيسة ويتزلف إلى البابا برسالة كلها ذم فى الاسلام تتسم بالتعصب والزندقة والضلال رغبة فى أن ينال مكانا عند البابا ، وأمثال هذا هانوتو وكيمون ورينان . . .

لن يستطيع أمثال هؤلاء أن يكونوا متجردين من تعصبهم الصليبي وفى أدمغتهم صور التاريخ وأنباء الفتح والظفر والغلب ، وآثار الحضارة الاسلامية التى عمت الخافقين والتى أضاءت للناس الحياة ، وهم ليسوا باهل لأن يكون فى قدرتهم هذا التجرد من الوراثة والدين والعقد النفسية والغرائز الطبيعية ولو استطاعوا ذلك لتبين لهم سبيل الهدى ولآمنوا بأن الاسلام هو الحق المبين

ولا داعى مطلقا لسرد الدعاوى الكاذبة التى يتشدق بها بعض هؤلاء فى كتبهم فهى من نافلة القول

ونحن نعلم أن هذا الدين المتين ، وهذا المثل الأعلى الواضح فى حياة رسوله هما أكبر عوامل اليقظة العربية ، وهم يعلمون ذلك ولكنهم ينظرون إلينا بعين الاعجاب المشوب بالحقد الراغب فى الانتقام ، ورغم ذلك فهم يقتفون خطوات هذا النبي فى كثير من حروبهم وأعمالهم وقد أقر الكثير منهم بالتقدير واعترف بالفضل وامتلأ قلبه إجلالا بإمام النبيين وجهاده وفى مقدمتهم توماس كارليل وبرناردشو



معالم الحضارة

الالحاد ، الاباحة ، الاستعمار ، الحروب

مما تقدم عرفنا أن الطبقة المثقفة فى الغرب عزفت عن الدين جملة إلى الفلسفات القديمة بغية الوصول منها إلى فهم الكون و إلى معرفة الخالق وإلى وضع نظام صالح للمجتمع وقد طال بهم البحث حتى ارهقوا أنفسهم ولم يصلوا إلى شيء من ذلك لأن العقل الانسانى وحده يقعد عن الوصول إلى حقائق الأشياء دون معونة من قوة روحية ، وأدى ذلك إلى الاغراق فى حمأة الالحاد ، ولا زال الفكر الغربى يبحث فى شك واضطراب انتهى إلى الجنوح للماديه والاستمتاع بالحياة استمتاعا شهويا اباحيا ، وتسلط على الحضارة الرأسماليون ينعمون باطايبها ويغرقون فى الرذيلة ويدفعون الدول إلى الاستعمار لفتح أبواب جديدة ولاستجلاب خامات جديدة للمصانع وفى سبيل تلك النظرية المغرقة فى الاثم يتقاتل المستعمرون على استعباد الأمم الصغيرة يستغلون خيراتها ويتقاسمون ثرواتها ويذيقونها سوء العذاب ولا يكون وراء هذه المطامع المادية الا الحروب المتوالية تأكل الأخضر واليابس ، وتقذف المحاربين والمسالمين على السواء بشواظ من نار وتهلك الحرث والنسل وعلى نفسها تجنى براقش وبيدها هذه التى صنعت الحضارة تهدمها فى قلبها النابض عوامل فسادها ومعاول سحقها

وفى الحادها وفى شهواتها وفى استعمارها وفى تنازعها وفى حروبها وتناحرها وفى استبدادها وتحررها المادى الفظيع وانصرافها عن الله وعن الروحية وعن السلام والعدالة والوفاء بالوعد ، فى كل هذا يبدو الانهيار السريع

ولا تزال أوربا تفكر فى صيانة السلام وهى مملوءة النفس طغيانا ورغبة فى الاستعمار ، ولا تزال تفكر فى السلام وهى تتنازع على الموانىء والمفاتيح والقنوات وهى ماتزال تنظم فى الحرب سياسة السلام الكلامية لتخدع السذج ولتستجلب الرحمة والمعونة ، فاذا انتصرت عادت اليها طبيعتها الظالمة الجائرة فاذاقت من أعانوها وشدوا أزرها مر العذاب

وليس للعالم الانسانى الذى مايزال يتخبط فى دياجير الشك والكفر والالحاد ويحاول بالتجارب المتوالية ليقيم نظام مجتمع سام كامل ويفشل فى كل محاولة ـ ليس له إلا أن يتجه إلى الاسلام فيدرسه ويجربه ، ففيه السلام والامان والعدالة والخير ـ فيه العقيدة الصحيحة ـ الصافيه النقيه . الطاهره المبسطه . وفيه نظام المجتمع الصالح ـ القوى المدعم

* * *

فى هذه الفصول أوردنا حقائق تاريخية صحيحه ـ ليس بها أى مبالغه أو مغالاة ، يعرفها كل من درس تاريخ أوربا فى العصر الحديث وهى تدل على كل حال على أن أوربا كانت تخضع لسلطة الكنيسة خضوعا أعمى . وكانت تعتقد فى براءات الغفران وتشتريها من البابا والكنيسه ، وكان رجال الكنيسه يستغلون فرصة هذا الجهل للغنى والثراء . ويحاربون كل من يحاول انارة أذهان الشعب لأنه يردهم عن غايتهم الماديه . فلما ظهر مارتن لوثر حورب أشد الحرب . وكان هو أول عوامل تنبيه الأذهان فضلا عن أنه كان حجر الانتقال من النزعة الروحيه فى أوربا كلها إلى نزعة ماديه لاتعرف المسيحيه ولا الكنيسه ولا الانجيل وتسخر منها سخرية عجيبه فقد تحرر الفكر فى أوربا وانطلق من عقاله لأنه لم يجد فى المسيحيه ولا فى الانجيل مايروى غلته ، ولا مايوجهه إلى حياة اجتماعية قويه ولا مايملأ ذهنه بعقيدة سليمه . فقد رأى الغرب فى الدين المسيحى مجموعة فلسفات كلها تلاعب بالألفاظ لاتصمد أمام الذهن المتحرر الذى يريد أن يشك ويناقش ويطالب بالبرهان ويقنع على أساس صحيح

لذلك عزفت أوربا عن الدين وتحررت منه ، وبدأت تشق طريقها فى الحياة على أساس جديد يناقض الدين تماما ، شك فكرى ودراسة للفلسفات وماوراء المادة ، ورغبة فى فهم الخالق والكون أدى بها فى كثير من الأحيان إلى الكفر والالحاد وانكار الخالق وانكار الأديان والكتب المقدسة والسخريه باليوم الآخر والبعث والجزاء ، ولقد ألف المفكرين فى الغرب مئات الكتب فى تشريح المسيحيه والانجيل والشك فيهما ، فضلا عن أن الغرب نفسه أخذ يشق طريقه

الاجتماعى بأوضاع تجريبية محضه فكانت حياته كلها تخبط لأنها لاتستقر على قاعدة ، وطبيعى أن كل حياة اجتماعية لايكون لها أساس من الدين لاتظفر بالبقاء ولا بالاستقرار - فكانت الحياة فى الغرب صورة من الدعارة والمجون - ومن الشك والالحاد وكانت المكتشفات والآله وما وراءهما من بطالة فى ناحية، واجهاد العمال فى ناحية أخرى ثم ترف وغنى وثراء للرأسماليين ثم قامت الثورة ضد الرأسمالية التى وصلت إلى الغنى الفاضح فى حين شقى العمال بالبطالة والاجهاد وظهرت الشيوعية وظهرت نظريات كارل ماركوس تدعو إلى تسليم المصانع والمؤسسات للدول وأن تتكفل الحكومة بنظام اجتماعى يتساوى أمامه الجميع مساواة تامة . وقد كانت هذه النظرية سر ثورة روسيا على القيصرية ١٩٢٠ وقد تنفذ بها هذا النظام ولم تثبت قدرته على قيام وضع اجتماعى سليم بالرغم من محاولات لنين وستالين فى تحويره بحيث يماشى الزمن

ومن ثم قامت مذاهب أخرى كالفاشيه - التى ترمى إلى قمع الشعب وحجزه فى اقفاص وتسليم السلطة إلى فرد ديكتاتورى النزعة يقود الوطن قيادة استبدادية تامة ولقمع الصحف والرأى العام فلا يمكنه من النقد ولا من المعارضة ولا من التوجيه وقد فشل هذا النظام وتحطم على رؤوس القائمين به - وحاول النظام الديمقراطى أن يعدل أوضاعه باصلاح حال العامل وما سوى ذلك ولا يزال ضعيفا لأن عقدته وقاعدته نظام الأحزاب السياسية المتقاتلة المتخاصمة المتنازعة وهو نظام لايصلح فى الشرق اطلاقا كذلك نظام النازية الذى قام وتحطم فى أقل من عشرين عاما ، كان نظاما عقيما لأنه قام على تسليم السلطة إلى فرد يجنح أحيانا بالدولة كلها إلى جنون شخصى فيوردها مورد الهلاك

* * *

وكذلك ظلت أوربا منذ أول القرن الثامن عشر تتخبط فى أوضاع اجتماعية مختلفة لم يصلح منها وضع للبقاء والسلامة ، ذلك لأن النزعة الجنسية والقومية والعبقرية التى ابتليت بها أوربا والتى تملأ قلوب العناصر حقداً يدعوها إلى التنازع المستمر مما لاتزال تعمل عملها فى سبيل الاستعمار الذى كان قوام الحضارة

الغربية وغايتها وقد أدى هذا التنازع إلى حربين متواليتين فى أقل من ربع قرن سالت فيها الدماء وضاع فيها الشباب، وهلكت فيها البلاد. وخرجت منها الدول منهوكة القوى. مدينة أثقل الدين، ولكنها ما تزال تفكر فى السلام بعقلية الاستعمار فلم تستطع أن تتخلص من سلطان العبودية والجنسية وقد تعقدت أمورها أكثر من ذى قبل بالخلاف المتحكم اليوم بين الرسمالية والشيوعية ومحاولة الأخيرة احتلال قواعد لها ومنافذ على البحر الأبيض وعلى البحار الدافئة - وقد ظلت الدول الصغيرة خلال هذه الحرب الاستعمارية التى شنها الغرب على الشرق تدافع بل تناضل فتعطف عليها الدول المستعمرة بالألفاظ الجوفاء الرنانة والوعود الخلابة، ثم تشتد معها فتنفى زعماءها وتشنق أحرارها وتقمع ثورتها بقوة الحديد والنار وقد ظل الشرق مصيدة الغرب وطعمته خلال هذه الحملة الاستعمارية الجبارة التى استعمل فيها الغرب كل قواه العسكرية والعلمية رغبة فى القضاء على مصدر العزة والكرامة فى هذه الشعوب عن طريق تحريف تاريخها ومحاولة النيل من عقيدتها واتهامها بأن سر تأخرها اعتناقها للاسلام. وسحق شبابها بما يهدم الصحة من سموم وخمور ومخدرات. وما يقضى على المال من إغراء جنسى داعر مكشوف واستغلال للشهوات الدنيئة بأساليب محرمة.

* * *

ولكن الشرق المسلم كان يتلقى هذه الضربات المتوالية التى قصده بها الغرب بسحقه فى صبر وقوة. وقد كانت له بفضل الله عامل يقظة نبهته إلى ماضيه الكريم وإلى دينه الخالص وإلى عزته وكرامته فقام يجاهد ويناضل ويفتدى الغاية الكبرى بالمال والدماء.

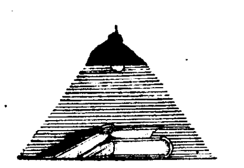
وإن كان الاستعمار الغربى ما يزال يعامله معاملة أفعوانية كلها المغالطة والوعود الكاذبة واستلانة فريق من الخونة إلى صفوفهم وإعطائهم بعض السلطات للاستعانة بهم على سحق الأحرار وعلى الوصول إلى غايتهم من استعباد الشعوب ومعرفة نقط الضعف فى الأمم وتثبيت قدم الاستعمار.

ولا تزال الشعوب الاسلامية الشرقية تجاهد لتقف على قدم المساواة مع

الغرب ، وهى لن ترجع ولن ترتد عما أنتوته من الجهاد والنضال حتى تنتصر أو تموت مستعينة بالخلق القوى وبالعصب الفتى وبالظهر المتين : كتاب الله وقواعد شرعته . والايمان الكامل ، والأخاء الصادق ، والوحدة التامة ، فهى عوامل القوة المعنوية التى لا يقف أمامها سلاح الغرب مهما بلغ من القوة ـ وهي الحق الذى يحطم الباطل ويرده على عقبه ذليلا مهينا .

استعن أيها الشرق بالصبر والرجولة والوحدة وتمسك بالقرآن تنهار أمام قوتك الحصون والقوى .

احرص أيها الشرق على حقك واعرفه وتمسك به وقدم له من روحك الفداء يبنى الاسلام بالدماء ، أحجار الأساس للعزة والسيادة والمجد والسلطان .



أثر الحضارة الغربية فى الشرق

دخلت الحضارة إلى الشرق دخولا عجيبا أقرب ما توصف به أنه كالسحر ، ذلك لأن الصور والأوضاع التى ابتلينا بها كانت قريبة جدا من النفوس حين تضيع حصانتها وقد كانت كذلك منذ أن تركت كتاب الله وسنة رسوله فأصبحت مظاهرة الحضارة الداعرة سهلة المنال قريبة المدخل لينة الجانب فى أوطان كثيرة الثغرات ضاعت هيبتها وصلابتها ، عرف الدخيل كيف يصل إليها ومن أى الأبواب ، وأى شىء أقرب إلى النفس من العسل المصفى الذى يغفل شاربه عما فيه من السم الزعاف ؟

النفس الشرقية طامحة ترغب فى الجديد وترنوا إليه وتسارع إلى اقتناصه وهى كالطفل الوليد يتلقف الجمر وهو لا يعرف ما فيه من نار ولهيب . ورحمة الله على عهود الرجولة التى انقضت يوم أن خاض الشرق الاسلامى المعامع وفى يده سيفه البتار يفتح باسم القرآن ويوم أن كان فى مقدمه الأمم وفوق هام الشعوب يدوى اسمه بهتافه الخالد (الله أكبر ولله الحمد)

دخلت الحضارة الغربية إلى الشرق فى ثوب امرأة متبرجة . كاسية عارية . راقصة ضاحكة وفى جعبتها موسيقى عازفة وريحها خليط من عطر فياح وخمر مسكره ، فضاعت العقول وماتت معالم الروح وتقلص المجتمع ، وانطوى على نفسه وأصبح المال يجمع من أى طريق ليلقى به فى هذا التيار الجارف ، تيار هذه الفتنة الجديدة ، ومن ثم نفذت الثروات وتبددت ، رهن بعضها وبيع أغلبها وهجر الملاك قراهم إلى المدن بما فيها من زخارف ومفاتن وتأثر الشرقى الحاد الطبع بالمرأة المجرمة فنسى لأجلها زوجته وأهله وأولاده والذين يترقبون أقواتهم ووضعت الأموال كلها فى هذا المحيط الزخار من الخمور والعطور والشهوات وأبدل النهار بالليل يقظة وحياة ، والليل بالنهار نوما وفناء واختفت الروح المسلمة المؤمنة والكرامة الحية والطبع الغيور تحت ستار كثيف من الشر والنكر والجهالة والظلم وحلت بالمجتمع الخنوثة بدل الرجولة وهزلت الأجساد وخبثت

النفوس وتحكمت اللذة وطغت الشهوة ، وغلبت الفكرة النازلة إلى مهاوى الدعارة والمجانه

وهكذا هزم الشرق المسلم . لم تهزمه الطائرات ولا المدافع ولا الدبابات ولا الحروب وإنما هزمته الحضارة الداعرة المتبرجة - فصيرت رجاله ضعافا لا يستطيعون مجابهة مرارة الحياة ولا شدتها ولا بأسائها ولاخشونتها يعكفون على المال يجمعونه بأى وسيلة ويستنزفونه من دم الفلاح والعامل لينفق كيفما اتفق على أحضان الغانيات وعلى بسط الخوز وفرش الدعارة

ماذا كان من أثر الحضارة الغربية والاستعمار على بلاد الشرق الاسلامى ؟

كان من أثرها أن عطلت الشريعة السمحاء - وأوقف الحكم بكتاب الله ، ونظمت لنا شرائع وقوانين وضعية زادت الجرائم شدة والأمراض انتشارا ، ورفعت درجات بعض الناس وباينت طبقاتهم من غنى بالغ أقصى ذروة الثروة وفقير ماح لا يملك صاحبه قوت يومه ولم تجعل بينهما وسطا ولم تصالح بينهما لتأخذ من الغنى للفقير بل جعلت فى قلب الغنى جذوة من النار فكره الفقير وعامله بالعسف واللؤم والظلم ، وأجاعه وحرمه ، وعلمت الفقير البائس المظلوم بالحرمان كيف ينتقم لنفسه فيسفك الدماء ويقتل الروح ويسرق وينهب . ومن ثم تكونت عصابات اللصوص والسفاكين وقطاع الطريق تنتقم من الأغنياء . ولو نفذ نظام الزكاة لما طغى الغنى على الفقير بل ولما بقى فقير

وحاول الناس التهرب والخروج من القيود بالحيل وانتهاز الضعف فى مواد القانون وقد استطاعوا إلى حد ما

والفلاح له قضية ، وسببها الاستعمار فهو يعمل ويكدح ولا ينال إلا القليل من الأجر وقد تسلطت عليه المكيفات الضارة فأصبح أصفر الوجه ناحلا هزيلا وأصبح مباءة للجرائم التى تفتك بالقرى المصرية فتكا زريعا ونشأت فى جوانبه أخرى أزمات خطيرة كأزمة العمال والبطالة - وكذلك تفشت الأمراض وكان أغلبها من ضعف التغذية وعدم القدرة على توفير الكساء ونشأت شركات الاحتكار واستولت على الأموال وأدارت دولاب العمل وأصبح أصحاب الاوطان عمالا وخدما

وكان من شرور الاستعمار تمزيق الأمة بالاحزاب التى لا برامج لها ، ولا إغراض ترمى إليها ولا غايات تطالب بها ، إنما هى أسماء تلمع يتجمع إليها الناس كلما وصلت إلى كراسى الحكومة ويبتعدون عنها إذا تخلت عنه وفشت فى الناس الفردية والنفعية فأصبحوا لا يعينون هذا ولا ذاك إلا بقدر مايقدم لهم من خدمات فاذا قصر تفرقوا عنه وناصروا عدوه . ووقع العداء بين رؤساء الأحزاب فى مصر إلى حد أصبح لا يرجى معه اتفاق . عداء شخصى قبل أن يكون خصومه فكرة أو خلاف على غاية أو مبدأ ، وقد كان كل واحد ينتهز الفرصة ليضع خصمه فى المآزق ، ويسىء سمعته بالاتهام وأصبحت الهيئات النيابية صعيفة الأثر فى توجيه دفة الحكم ، وأصبح أى انقلاب حكومى معناه تغير كل الأيدى العاملة المتصلة بالانقلاب من المركزية بالقاهرة إلى أقصى القرى والدساكر وانقسم الناس فى البلد الواحدة والبيت الواحد وتحكم العداء بين الطبقات المختلفة ، وكان ذلك كله موضع الرضى من المستعمر لأنه قد حال بين الأمة وبين التجمع والوحدة وفى تجمعها ووحدتها الخطر البالغ على سلطانه وكيانه

وانتشرت الرشوة والمحسوبية وماتت معالم الذكاء والقدرة فى مجال الأعمال وضاع الذين لا سند لهم من عظيم أو كبير ، ضاعوا فى ميدان المادة ولكنهم سيظلون فى مكانهم المجهول كراماً لأنهم يستمدون عونهم من الله ولا يعترفون بسلطان لأحد سواه

وعلمتنا الحزبية التراشق بالألفاظ والنقد المقذع والتضليل والاختلاق والملق والرياء والتلون

وكان للحضارة أثرها على البيت المسلم فمزقته أربا ، وزينت للرجل وللمرأة ألوانا جديدة من التمرد والخروج على الخلق إلا من رحم الله

وانتشرت حفلات الرقص والخمر يختلط فيها الرجال بالنساء وأصبحت هناك مواسم للاصطياف فيها الموبقات كأنها أسواق دعارة وتكشف فيها عن الأجساد كأنها أسواق رقيق

وفيما يلى خلاصة لهذه المهازل التى رمتنا بها الحضارة المجرمة الداعرة :

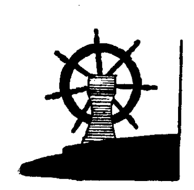
١ - ترويج قشور الدين ليحول ذلك بين الناس وبين الاسلام الصحيح
٢ - المرأة والمراقص والاختلاط والدعاة والغدر وتفكك الأسرة
٣ الميسر
٤ - الدولاب التجارى والشركات والرهونات
٥ - الالحاد والاباحة ومذاهب الشك
٦ - الاستيلاء على البترول ومفاتيح البحار والمطارات
٧ - استعمال السينما والصحافة لتشجيع اللغة العامية والأدب الرخيص
٨ - الدولة والمحكمة والمدرسة نظمت تنظيما أوربيا فأخفقت فى الأوضاع الحاسمة
٩ - القضاء
١٠ - الجنايات والأمن العام
١١ - الفلاح والقرية والأمراض الفتاكة
١٢ - الفوارق الواسعة بين الطبقات
١٣ - الجهل والتعليم المسمم بالتغريب
١٤ - الرشوة والمحسوبية
١٥ - اختلاف الأزياء وتناقضها
١٦ - معارض الشواطىء
١٧ - الكيوف والمخدرات
١٨ - التسول
١٩ - تشجيع اللغة العامية
٢٠ - اليانصيب والسباق والتأمين
٢١ - الأخلاق السياسية السلبية
٢٢ - الفردية والنفعية(١)

---

(١) سنفصل هذه المآسي فى كتابنا (المجتمع الاسلامى بين عهدين)

* هذه بعض عيوب الحضارة الغربية التى رمتنا بها أوربا لتحطم الشخصية المعنوية فينا فى الوقت الذى احتجزت فيه عنا كل مافى الحضارة من خير واختراع وكشف ، وإننا لن نتقدم خطوة إلى الغاية الكبرى . غاية الحرية وإقامة أحكام الله فى أوطاننا إلا إذا عرفنا عيوبنا وقيودنا وإغلالنا وسعينا فى سبيل تحطيم هذه القيود

وأن الشرق الاسلامى يبشر بخير كثير ، وإن يقظته تدل على أن الحيوية الصحيحة قد جرت فى عروقه وإن كانت هذه الحيوية فى حاجة إلى توجيه حتى تسير فى طريق مطمئن سليم ، هذا التوجيه موجود فى الهيئات العاملة والقلوب المخلصة وقل اعملوا فسيرى الله عملكم والمؤمنون



انهيار الحضارة الغربية

الحقيقة الواقعة التى لا تقبل النقض أن المجتمع الأوربى خلو من الروحانية والإيمان فقد عزف عنهما منذ وقت طويل وتنسيها ، وأصبحت الكنيسة هناك خالية خلوا تاماً إلا من العجائز والنساء فضلا عن أن المجتمع الأوربى قد أصبح لا يعترف بالغاية ولا بالهدف ولا بالمثل الأعلى ، وهو إذا كافح فإنما يكافح لسيطرة سياسية أو لمآرب شخصية أو لنزعات رأسمالية .

قصرت حياة الأوربى فى مجتمعه على أن يعمل ليجمع المال وليتمتع وليعش فى حياة لها أفق رفيع يشملها الترف وتحيطها المتعة ، ووقف نفسه وقواه وجهوده كلها عند هذه المعانى المادية ، أما الفكرة السامية والغاية العليا والأمل الكبير والايمان الروحى فهو لا يعترف به ولا يؤمن بأثره وإذا رأى صورة الشرق حاول أن يلبسها ثوباً يتفق مع تفكيره المادى الحاد .

يدلك على ذلك بوضوح هذه الحروب القائمة بين آن وآخر وهذه الخلافات المضطربة بين الدول الأوربية لا الكبرى وحدها ولكن الكبرى والصغرى فما قامت هذه الحروب إلا من أجل الجشع المادى والطغيان الرأسمالى .

وإن ادعاء أوربا بأن نضالها الآن نضال مبادىء هو ادعاء مردود وإنما هو كفاح معدة ونضال شهوة ورغبة فى السيطرة والاستعلاء تعمل لها بعض الدول باسم الديمقراطية أو الرأسمالية على الوجه الأصح وتعمل لها الدول الأخرى باسم الشيوعية ، وتحاول كل واحدة أن تغرى الدول الصغرى على أن تكون فى صفها وتحارب كل منها الأخرى حربا عوانا عنيفة وتبدو احيانا فى ثوب الصديق الذى يثق بإخلاص صاحبه .

* * *

وكلا المذهبين الرأسمالى والشيوعى عنيف مغرض ، لأنه لا يرمى إلى إصلاح المجتمع ولا انهاض الأمة ولا إعلاء الوطن ولا إلى إقامه العدالة ولا يتيح الفرصة

للكفايات، أو يعين على النظر إلى الأمور من أفق الحرية بل يرى كل منهما إلى السلطان والطغيان والسيطرة والظلم والاجرام واستعباد الضعيف وإذلال الأمم الحرة وابتزاز خيراتها وعصرها وجعلها حلالا مباحا لها من دون أهلها .

* * *

إن الشيوعية ذاتها التى تدعى أنها مذهب العدالة لا تؤمن بهذه العدالة فهى تحارب الأديان حربا عنيفة وتقيم قواعدها على أساس الفوضى الاجتماعية والدعارة والتحلل الخلقى ، فضلا عن أنها تضع السلطة فى يد الدولة لتضعها بدورها فى يد فرد فى الدولة له ما للدكتاتورية من سلطان وطغيان وإن كان الزمن قد عصف بالنازية والفاشية فى وقت قليل فانه على أهبة هزيمة هذين المذهبين الذين يحملان ظاهرا خلابا ويخفيان الشر كله والظلم كله .

وإننا لن نستغفل مرة ثانية على أيدى دعاة الديمقراطية ، فان الكلام فى أوربا غير العمل ، والألفاظ غير المعانى ، وجميل أن تصف الديمقراطية أهلها وأنصارها بكل تقدير وحسن ، ولكن القبيح جدا أن تجد هذه الدول مثالا بارزا للطغيان والظلم وإنكار الجميل والاستبداد والنكث بالعهود وضياع حقوق الأحرار وإذلالهم .

إن الأمر فى الغرب أمر سلطان وطغيان ، تتقاتل عليه الدول وتتقاتل عليه الطبقات ويتقاتل عليه الأفراد فالمجتمع الغربى يتناحر تناحراً شائنا متصلا ، وهو يحاول منذ فجر نهضته محاولات دائمة لإقامة دعائم مجتمع سليم فلا يوفق لذلك لأنه ألقى بالعقيدة الدينية والفكرة الروحية بعيدا عنه فأخطأه التوفيق وسيظل يخطؤه ما تعمد أن يعتمد على العقل والعصبية والشهوة والرغبة فى السيادة والسلطان والطغيان والظلم

أما إذا عاد إلى الروحية مرة أخرى فيقوم مجتمعه على أساس العدالة والاخاء والمساواة والحب والتعاون بين الناس ، عندئذ تنتفى من أفقه هذه الأزمات الشداد وتلتئم جراح الانسانية وتتجمع الدنيا تحت لواء الاعتدال والسلامة

المجتمع الغربى تتآكله روح عجيبة هى مزيج من النعرة المتعصبة للجنس وتناحر الطبقات وما فى نظمها من حقد واستعلاء يبعث على الجريمة ، ويدعو إلى الشر ويفتح أبواب الظلم والطغيان وتتنازعه نزعات الاباحة واللذة والشهوة والجنس فتفتك به فتكا زريعا

ولا تزال هزيمة فرنسا ماثلة فى الأذهان ، فقد كانت فرنسا قبل الحرب تتردى فى حفرة هائلة عميقة من الشهوة والترف والاباحة قتلت فيها عوامل القوة والرجولة والحيوية والعزة فما أن استهدفت لأول صدمة حتى خرت وتمرغت فى الوحل .

وعرف ذلك أهلها ومفكروها ، عرفوا أن سبب هذه النكبة والضيعة المؤلمة هو انحلال الخلق وفساد الأسرة وتمزق الوحدة وضعف روح الشباب المتهالك على الشهوة والخمر والشر كله باسم الحرية .

وعرف المفكرون فى فرنسا وفى الغرب كله إن سر هذه الهزيمة هى فقدان الروحانية التى تسموا بالفرد إلى العزة والقوة والاستبسال والدفاع .

وكذلك عرفت أوربا أن هذه الحروب التى يساق إليها الشباب لا تقوم على فكرة ولا غاية ولذلك فإنها تنتهى بالهزيمة دائما . إن الجندى فى ميدان القتال يسخر من نفسه ويسخر من قادته فإلى أى هدف يساق وإلى أى غاية يقاتل ؟ إنه يبحث فلا يجد جوابا فتكون حياته سلسلة من السأم والملل والاستسلام

ولهذا نقل الغرب دور الدعارة والاثم بألوانه من نساء وخمر إلى المعسكرات وأباح للجنود حرية مطلقة حتى ينسيهم غل الأسر ، وذل الحرب التى لا غاية لها إلا تحقيق مآرب عشرات من الاستعماريين والرأسماليين، وأصحاب الشهوات والأموال

ومتى كان الجندى المناضل يستطيع أن يعيش على أهبة بذل نفسه بين الكأس والطأس ؟ ذلك لأن الجندى لا هدف له ولا غاية إلا رغبة دولته فى السلطان الاستعمارى والتناحر على السيادة على بلاد أصحابها أعزة .

إن مسألة الطبقات فى أوربا وأمريكا ومسألة العامل وصاحب رأس المال لها أبلغ الأثر فى اضطراب ذلك المجتمع ، فان العامل يشعر هناك بمدى الفارق

الواسع بين دخله القليل الذى لا يكاد يكفيه وبين ذلك التمتع الهائل الذى يعيش فيه سيده .

وتحاول روسيا أن تغرى بعض الاغرار بأنها تحقق هذا الأمل وترفع من مستوى العمال ولكنها تخفق فضلاعن أنها إلى الآن لم تستطع أن تقيم هذا النظام ، وإنما هى ألفاظ ودعايات تثيرها فى أوساط الأقطار الفقيرة لتكسب بها أنصاراً لها من الغافلين ، ولو درى هؤلاء أن دينهم الحنيف قد قرر هذه القواعد ونظم العلاقة بين الغنى والفقير تنظيما يدعو إلى التضامن والتآلف والحب بينهما ويحقق الوحدة ويرفع المستوى لأنكروا على هولاء ما يزعمون .

إن المذاهب الأوربية تتناحر وأن أوربا لم تستطع أن تقدم لمجتمعها نظاما ثابتا فليعلم هذا أولئك الذين تغريهم أفكار أوربا ولينظروا أولا إلى مدى أثر هذه المذاهب والأفكار فى أوطانهم ومدى صلاحيتها فاذا رأوا أنها لم تنتج شيئا ، وأن المجتمع الأوربى يتمزق تحت طغيان الخلاف والتنازع والتناحر لكفاه ذلك دليلا على فساد ما تقذفنا به أوربا ، ونحن أغنى منه وأغنى عنه بديننا ودستورنا ونظامنا الاسلامى الكامل السليم الذى جربته الدنيا فأسعدها وأمدها بالخير والعدالة والحرية والأخاء

* * *

إن الحضارة الغربية تقوم على أساس الرأسمالية والاباحية .

ذلك لأن الرأسمالية المتخمة تتطلب الحياة الداعرة المترفة الفارغة فترسم خطوطها وتجرأ على الانزلاق فى مهاويها الاغرار والفقراء والفقيرات فتنشىء طبقة جديدة لا هم لها إلا عرض النماذج الداعرة المكشوفة لقاء الأجر الضعيف القليل النفقات ولو عرفت هذه الطبقات العالية أى معنى من معانى الروحية أو الإيمان أو الكرامة أو العفة لأحجمت عن فتح باب هذا الشر ولو عرفته هذه الطبقات المتردية لانصرفت عنه إلى أبواب الرزق الحلال ولكن كلاهما ضلت هداها وماتت معانى الكرامة والعزة فيها .

وهكذا لا يوجد فى المجتمع الغربى أى أثر للأخلاق ، تقوم العلاقات كلها بين الناس و بعضها و بين الدول و بعضها و بين الغرب والشرق على أساس الخداع والتضليل والاغراء والوصول إلى المال والتحايل على صغار النفوس ليكونوا صنائع يعملون لهم ويكشفون لهم عن عورات الأوطان ومواطن الضعف والمقاتل ليضربوا هذه الأوطان فى الصميم .

* * *

وباسم الرأسمالية تقاسى الانسانية أعنف الآثار الدامية التى تتكرر و تتلاحق فى أقل من نصف قرن مرتين ، فقد سببت الرأسمالية صبغ لون الكرة الأرضية بالدم وأثارت نيران الحروب ، وهدمت الدنيا الزاخرة الآمنة ، وقتلت الشباب القوى المحتاجة إلى سواعده الأوطان وقتلت الآمنين المطمئنين الذين لم يشاركوا فى حرب ولا قتال .

واليوم تتنازع أوربا الرأسمالية والشيوعية ،كل منها تحاول أن تفتك بالأخرى وتبيدها بعد أن جمعهما قتال النازية من قبل فاذا بها أشد منها شرا على الانسانية

* * *

أوربا

إن هذا الرقى المادى الذى جلبته الآن لم يقدم للانسانية السعادة كما كانت ترجو إنما قدم التعاسة والخراب والشر على أشد صوره وأسوأ ألوانه .

فقد عرفت به الانسانية افتراس الدول الكبرى للشعوب الضعيفة وعرفت به ضياع روح الحق وعرفت به كيف تكون شهوة التوسع والاستعمار كأننا فى أشد حلقات الهمجية الأولى ظلمة وحلكة .

إن الدنيا (بفضل) هذه الحضارة قد أصبحت مسرحا للقتل والتـــدمير والعبث بالحقوق والاعتداء على الكرامات والحريات .

* * *

إن الغرب يستعدى الدول بعضها على البعض الآخر لتظل ضعيفة و لتتقاتل فى عنف على السيادة الفردية والمصالح الشخصية لا على الحقوق العامة وما يزال الغرب بعد هذه الحرب الدامية العنيفه يتسلح مرة أخرى ويستعد للحرب ولإزهاق الأرواح

وإراقة الدماء فى سبيل السلطان المادى والسيادة الاستعمارية والمطامع الرأسمالية
وقد أصبح الدين اسما وعصبية تحسب تحارب به الأديان الأخرى ويستغل اسمه للتغرير بالسذج والضعاف ليتساقوا فى صفوف القتال .

* * *

والأسرة الغربية مفككة الأوصال تتقاذفها المطامع والأهواء والمرأة هناك تغشى المراقص والحفلات وتعاقر الخمور وتنسج على نمطها ابنتها فما يزال المجتمع يتحطم من جميع جوانبه وكان طبيعيا أن تتفشى موجه من الاباحة بعد هلاك طوائف كثيرة من الرجال فى الحروب ، فأدى هذا إلى خروج النساء إلى المجتمع للبحث عن لقمة الخبز المريرة .

ولا ننسى أن نذكر الأمراض التناسلية التى أصيبت بها الفتيات أبان الحرب والتى استفحلت آثارها فى الجنود والفتيات جميعا والتى وصلت إلى حد بعيد من التفشى والانتقال كما أننا لا ننسى أن نذكر أطفال السفاح الذين جاءوا إلى المجتمع بعد رجوع المجندات الأوربيات وأثر ذلك فى المجتمع الغربى وامتلاء الملاجىء بهم .

هذا وما تزال أوربا الباغية وأمريكا الظالمة لا تنتبهان من غفلتهما ولا ينظران إلى أمرهما نظرة العقل والتقدير ، وإنما تنساقان تحت ضغط النزعة الاستعمارية المجرمة فتقدمان ضحايا جديدة فى سبيل البغى والظلم .

أين ما أفاده العالم من هذه الحضارة الاستعمارية الآثمة أو هذه المدنية الداعرة ؟

أهذه الصور البراقة والمصانع والمعامل والتقدم الكهربائى والميكانيكى والكشف والغوص فى لجج البحار ، إن هذا كله إن كان قد أفاد المجتمع خيرا فانه قد أصابه بشر بالغ ، أصابه بتعطيل الأيدى العاملة وأصابه بالترف والتخمة وغناء طوائف قليلة على حساب المجموعة وأضره بأن حول هذه الاختراعات والعلوم والفنون من خير للبشرية إلى سحق لها وإلى أراقه الدماء وهدم الديار وقتل الآمنين وازعاج الناس لغير غاية معروفة إلا المطامع الفردية من ناحية والدوافع الرأسمالية الاستعمارية من ناحية أخرى .

إن آثار الشر أبلغ من آثار الخير فى هذه الحضارة وإن عوامل الفناء والتحطم والانهيار لتبدو واضحة جلية من خلال هذا البناء الضخم الكبير . بناء حضارة أوربا ، ومن وراء علمها وفكرها الذى أغرى السذج البسطاء بالجرى وراءها .

إن هذا البناء سيتحطم قريبا ، وسيهوى إلى القاع ، وسيتردى إلى الهوة السحيقة بسبب ما أحاطه من طغيان وظلم واعتداء على الأبرياء وإسراف فى الترف والمجون والشر والعكوف على اللهو والاباحة ، وانكار الخالق والاسراف فى الخصومة مع الروحانيـــة والجرى المتصل وراء اللذة الفردية والغاية الشخصية والنزعة الاستعمارية .

* * *

أيها الناس إن الغرب ممزق الأوصال منقسم على نفسه لا يستطيع أن يقيم مجتمعه على وضع سليم فهو لا يصلح لأن يكون قدوة ولأن نستلهم منه الرشد .

عودوا مرة أخرى إلى دينكم وإلى نهضتكم وخذوا منها وقودكم وقواعد زحفكم إلى العزة والسيادة .

وتيقنوا أن هذا البناء منهدم فى القريب على رؤوس صانعية والمعجبين به ليقوم على أنقاضه بناء كريم ، بناء إسلامى عظيم ، بناء الحضارة الاسلامية الكريمة التى تصون العدالة وترعى الأخاء وتحافظ على الشرف وتقيم حدود الله وتعرف الأخلاق والكمال ، حضارة الإيمان بالله وحده ، حضارة إنكار الذات بالتضحية والفداء والإيثار والصفح والأخاء .

«أنهم يرونه بعيداً ونراه قريبا، ويقولون متى هو قل عسى أن يكون قريبا» .

مستقبل لهذا الدين .

أوربا المنهاره

تثبت هذه الكلمة التى كتبها نصير من أنصار الحضارة الغربية ليقرر بها ان علامات الانهيار الواضحة القوية موجودة فعلا ، وأنها بسبيل إلى أن تجتاح هذا البناء فينهدم ، فالسفاح والاطفال الغيرشرعيين وماوراء ذلك من الامراض الخبيثة هى أشد علامات الانهيار وهل هناك أقوى أثرا فى بناء الحضارات من تحطم الجسوم والقوى البدنية والخلقية فى الامم :

« منذ ست أو سبع سنوات كان أهل أوربا يتحدثون عن الأطفال غير الشرعيين خفية وخجلا .

أما الآن فلاتكاد نفتح مجلة أوربية إلاتجد فيها بحثا عن هذه المشكلة الخطيرة التى تعانيها أوربا فى أعقاب الحرب .

ففى كل أسبوع يولد فى انجلترا ألف طفل غير شرعى . أى بمعدل وليد من كل اثنى عشر وليدا ! وأكثر هؤلاء الأطفال هم أبناء جنود أمريكيين هبطوا انجلترا فى اثناء الحرب ، فغزوا بأموالهم الفتيات العذارى ، ومشكلة هؤلاء هينة نوعا ما ، لأن لونهم كلون سائر الانجليز . أما المشكلة الكبرى فهى هؤلاء الأطفال الذين جاءوا من آباء زنوج فاحمين ! . . والواقع أن المرأة الانجليزية لم تمتنع عن أى رجل فى أثناء الحرب التى قذفت بملايين من الرجال والشبان إلى ما وراء البحار فكانت النتيجة أن صارت دماء نصف شعوب الأرض تسرى الآن فى عروق الشعب الانجليزى وليست بريطانيا أسوأ من الدانيمرك التى لم تتحرج إحدى عضوات البرلمان فيها من أن تعلن أنها حملت سفاحا .

ونسبة الأطفال غير الشرعيين فى الدانيمرك ١ إلى ١٠ وكان هتلر يشجع النساء على انجاب الأطفال بأية وسيلة وعلى أية صورة ليحصل على أكبر كمية من (علف المدافع) كما كان يسمى الأطفال . وكان يحتضن الفتيات اللاتى يحملن سفاحا فى ملاجىء ويطلق عليهن لقب بنات هتلر . . . »

اخبار اليوم ٩٧ (١٤ سبتمبر ١٩٤٦)

خاتمة

قضى المسلمون قرونا عدة وهم سادة البحار ورواد القفار ، للتجارة وللفتح باسم كلمة الله ونشرها فى العالمين فاجتازوا بلاداً لم يطرقها قبلهم طارق ، واكتشفوا طريق البحر إلى الصين والهند وشواطىء افريقيا ومنذ القرن الرابع للهجرة وسفن المسلمين تمخر المحيط الهندى بين شواطىء الهند وفارس والصين وكان منهم مهرة الجوابين الذين رسموا الخرائط وطافوا البلاد ومن مذكرات هؤلاء ولوحاتهم تعلمت أوربا الكشف وكذلك كانوا مثال القوة ، تهابهم أوربا وتهاب اسمهم منذ اتصلت بهم واتصلوا بها وكان لهم فى كل موقف أثر قوى ومكان مرموق منذ اتصلوا بها فى حروب الاندلس وحين نفذ أبطالنا إلى قلب أوربا حتى وصلوا إلى نهر اللوار ومنذ طردت كتائب صلاح الدين فلول الصليبيين ومنذ حروب محمد الفاتح عند ماوصل أسوار فينا مما حمل الغرب فى فجر نهضته الحديثة على أن يرهب اسم الاسلام ، رهبة تقشعر لها الأبدان ، فقد كان اسم الاسلام ولايزاله وسيظل مصدر الوحدة التى لا تنفصم والتى تربط بين كل من يعتنقه مهما بعد منزله أو قرب فكل أرض بها مسلم وطن اسلامى ولا كذلك الغرب الذى يتناحر قوميات ومذاهب وأجناس ويتطاحن باسم الاستعمار الاقتصادى فى حدة وعنف ـ والمسلمون مهما بعدت أماكنهم تجمعهم الكعبة خمس مرات فى اليوم اتجاها نحوها وتجمعهم مرة فى العام حجا اليها ، فلما اتصل الغرب المسيحى بالشرق المسلم فى القرن التاسع عشر عرف فيه الضعف الذى منى به فجرأه ذلك عليه فلما اصطدم به مرة ومرة هزمه وأخذ لنفسه قواعد فى سواحل أرضه

* * *

انهزم المسلمون حين تركوا القواعد المركزة لدينهم وجنحوا عن الفكرة الصافية إلى الفكرة المشوشة ـ التى اختلطت بها فلسفات الوثنية واسرائيليات التوراة ، وانتقلت العقيدة من البساطة فى تعاليم محمد إلى التعقيد فى حذلقة أهل الكلام .

عندئذ انتقل الاسلام من قوة الفاتح المهاجم إلى ضعف المستعمر المدافع عن نفسه ـ ولقد كان للفكرة السليمة الأولى أثرها فى اعداد الروح ثم اعداد الجيش فكان الايمان يفتح أكثر مما تفتح الحراب فضلا عن التذكير المتصل بالاعداد الحربى (وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة) فلما جنحوا إلى فلسفات المعتزلة وزهديات الصوفية ونسوا المصادر الأولى ماتت فى قلوبهم عوامل القوة وانقلبت إلى لون من الذل والجمود والتواكل رفع أيديهم عن الاستعداد بالسيوف والحراب وحال بينهم وبين اليقظة للأعداء

ولكن هل أثر ذلك شيئا فى نقاء جوهر تعاليم الاسلام كعقيدة سليمة وقواعد مجتمع كامل ؟ لا ـ ذلك أنك عندما تحاول أن تدرس هذا العالم الفكرى والاجتماعى متجرداً ـ تجد المذاهب الغربية والمذاهب الشرقية ومذاهب العلم الحديث وفلسفات الحضارة المادية ، وتجد فلسفات الفرس والهنود واليونان والرومان تختلط وتتقاتل وتتخبط فى التواء عجيب وتعقيد بالغ يرهق الذهن ويضيق الصدر ويبقى فى النفس شكوكها وأسئلتها دون يقين أو إجابه ، فاذا ما درست الاسلام من منابعه الأولى قرآناً وسنة صحيحة وجدته سهلا ليناً ـ بسيطا مرتبا مقنعا للعقل ـ مطمئنا للقلب ـ قد وضع لكل شيء حدوده وقواعده ونظمه فى دقة ويسر . وتشعر أنك لست فى حاجة أن تكد عقلك وترهق ذهنك لوضع نظام للمجتمع أو حلول للمشاكل . بل تجد ذلك كله معداً مهيئاً للتنفيذ ، ولست معه فى حاجة إلى فاشية أو اشتراكية أو وضع نظام للقضاء والتشريع ومسائل التوريث فلست فى حاجة إلى تشريع نابليون أو شريعة حمورابى أو نصوص التلمود ، ووضع نظام المجتمع الكامل فلست فى حاجة إلى جمهورية أفلاطون أو طوبى روسو أو قواعد الديكتاتورية أو الديموقراطية ـ وضع نظام الروحية وقواعد تزكية النفس فلست فى حاجة إلى زهد الهنود ولا صوفية الاغريق ولا فلسفة تولستوى ـ ووضع قواعد الحرب والسياسه فلست فى حاجة إلى نظم أميل زولا أو ميكافلى ـ وجمع الناس أمة واحدة فلست فى حاجة إلى عالمية ولز أو عبقرية رينان

ولو عرف الغرب الاسلام معرفة إيمان لوجد فيه الحقيقة العليا التى تشغله فى

عقيدته ومجتمعه ولكن الغرب عرف المسيحية فأنكرها وعزف عنها وألقى بها فى مكان بعيد ، وجد الغرب المسيحية - حين تفتح عقله للبحث - تدعو إلى الاستكانة والتمييز بين مالله وما لقيصر فلم تقنعهم كعقيدة ولم يؤمنوا بالانجيل ككتاب ورأوا أن النهوض لايتم إلا بالتخلص منهما وفتح باب الفكر والبحث فظهرت المذاهب الجديدة كالتطور وتنازع البقاء وأصل الانسان ونظريات دارون ومنهج « ديكارت » وتخبطت أوربا فى فلسفة عجيبة . وتحرر الفكر تحرراً كاملا حتى أصبح لاينظر إلى أصل الانسان الذى فصلته التوراة ولا يعيره اهتماما بل يسخر به ، ومن ثم ضعف مكان البابا فى أوربا ، بعد أن كان صاحب السلطة الروحية الزمنية ١٧٩٠م الأولى بوصفه رئيس الكنيسة الكاثوليكية ويدين له بالرئاسة ٣٠٠ مليون مسيحى والثانية بوصفه حاكم الأقطار البابوية ومن ثم نزعت منه صفة السلطه الزمنية وأقصى فى الفاتيكان عن ميدان السياسة العالمى فلم يكن له فى عصرنا هذا إلا صفة الوساطة والنصيحة التقليدية فى حالات الحروب وقلما تسمع هذه النصيحة

وظهرت البروتستانية وتنازعت مع الكاثوليكية زمنا طويلا ثم اتسع الكشف العلمى خلال القرن التاسع عشر حتى وصل أوجه فى هذا القرن باكتشاف القنبلة الذرية وقد عرف الغرب البخار والكهرباء وأشعة رنتجن والراديو واللاسلكى والطياره ونبغ فى علوم التشريح والنفس والبناء والنحت والرسم واتصل بالفلك فاكتشف الجاذبية ونظـــام السيارات والنجوم والسنين النوريه واتصل بالجو فعرف طبقاته وكذلك نبغ فى علم الاجنه والوارثيات والخلايا ، وكان هذا هو الجانب القوى فعلا فى الحضارة الغربية ، هذا الجانب الذى حجب عن الشرق وقدم اليه مافى الحضارة من جوانب أخرى كلها شر على المجتمع وشك فى الفكر - ذلك لأن الفلسفة عرفت المنهج التجريبى والمذهب الوضعى والتفكير المكشوف والانشغال بالتمثيل والرقص - كما أن علوم الاجتماع تقيدت بالمذاهب الجنسية والبشرية ففرقت بين السامى والآرى واعتبرت الأجناس السامية منحطة والأجناس الجرمانية أشرف الأجناس وادعى الغرب أن تفكيره حر سمح فاذا هو يتعصب جنسياً ومذهبياً ويتعصب كغربى ضد الشرق وكمسيحى ضد الاسلام

* * *

قدفنا الغرب بشر مافى حضارته : النظريات الطبيعية والفلسفات الخاطئة مما نحن فى غنى عنه بديننا المبسط اليسير ـ والتحلل من القيود الاجتماعية وكشف المرأة وإخراجها ووضع قواعد الاقتصاد على أساس الربا والقوانين الوضعية وإباحة الزنا والخمر بتصريح من الدولة والتحلل الخلقى وتنازع الطبقات والأجناس والمذاهب والأحزاب ، وما كنا فى حاجة إلى ذلك كله بل وما غنانا بحضارتنا وتشريعنا القرآنى السماوى وعقيدتنا الاسلامية الصافية عن ذلك كله ـ

لقد عرفوا هذا كله كغرب وتورطوا فيه لأنهم اعتقدوا بأن الدين مضطرب القواعد مزعزع الأصول لم يقنع أرواحهم بعقيدة سليمة ولم ينظم مجتمعهم بوضع صالح ، ولكن مالنا نحن ولدينا الطب لكل مرض والعلاج لكل حاله فضلا عن اختلاف المناخ والبيئة والوارثة بيننا وبين أوربا فمناخ أوربا بارد له أوضاعه وآثاره فى الأجساد والحياة ، والنزعة الروحية تختلف بيننا وبينهم فنحن أهل الشرق مصدر الروحية وموئل الأديان ومهبط الرسل أما هناك فالمسيحية منقسمة إلى مذاهب وفرق تضاربت منذ التاريخ القديم والحديث واضطرت أوربا أن تفصل بينها وبين السياسة والثقافة وقالت إن الثقافة مدارها العقل ، أما الدين فأمر إيمان وأما السياسة فشيئه هوى . ذلك لأن المسيحية فى طبيعتها دين عبادة لادين تشريع أما الاسلام فهو (دين العبادة والتشريع والعقيدة والمجتمع) الذى يضع قواعد السياسة والاقتصاد والقانون والثقافة ومن ثم انتشرت فى أوربا مذاهب اللادينية والمادية والطبيعة وعرفت مذهب ديكارت ودانت به، هذا المذهب الذى يقول بعظمة العقل الانسانى والشك والتجرد من الوارثات ومن ثم أوغلت فى المبادىء الهدامة للمجتمع والخروج عن الاعتدال إلى الغلو فأعانت الحرب الكبرى الأولى على التحرر والتجرد من الأخلاق والقواعد وأقبلت أوربا على الدعارة والسفور والانشغال بالجسد والحرية الطليقة وزاد ذلك شعور الجندى الخارج من ميدان القتال فأصبح لا يؤمن إلا بالمتعة الحرة الطليقة من كل قيد واعتبار الجسد وأهميته وتربيته والانشغال به والكشف عنه وايقاف التفكير حول غرائزه

* * *

* * *

عرفت الحضارة الغربية بالخروج عن مالوف الروحية السامية والانحدار إلى مهوى أنانى عنيف . عرفت بالنزعةالذاتية والفردية وحب الاستعلاء والغرور وانحدار الأخلاق الشخصية إلى مهاوى الانحطاط ، والاستهتار والسخرية وعدم المبالاه وعدم التقيد بالعرف ، والهزء بالتقاليد والأديان الروحية واحتقار الأجناس الأخرى وانتقل الغربيون انتقالا سريعا إلى الحيوانية الجنسية والوحشية العسكرية ، وعرف الغرب الأثرة وحب التمتع والترف والرفاهية والليونة والخشونة والدعة والبعد عن صفات الرجولة القوية النفاذة العاملة التى تجاهد وتناضل فى صلابة وإعـــداد المجتمع بالمتع والزخارف والفتن والقصور والسيارات والطيارات وتزيين المرأة وقد كانت سرعة الوقت مدعاة إلى قتله بالشر : أدب مكشوف ـ شك وإلحاد ـ مراقص ودور دعارة ـ خمور ولهو وقصف . ومن ثم عرف المجتمع بالفردية والخلق اللئيم الذى يقيم علاقاته على الخداع وسوء الظن والاحتيال والهروب والمكر والدهاء يظهر غيرما يبطن ، ويبتسم وهو مملوء حقدا

عرفت الحضارة بالتصريح فى ميدان الغريزة الجنسيه و الكشف بدلا من الحجاب فضاع من المرأة سرها وسحرها وأصبحت مبتذلة وقد دعى ذلك إلى هجر الزواج ومقاطعته وإلى فساد الحياة الزوجية وتفكك الأسرة لأن المرأة تتجه اتجاها والرجل يتجه اتجاها آخر وأسرفت الحضارة فى الحديث عن العواطف والشهوات وأصبح للغناء والرقص والملابس والشعر أبلغ الأثر فى تلوين المجتمع بلون حاد

* * *

عرفت الحضارة الغربية بالحرب والقتال والتناحر على السيادة والاستعمار فأنفقت فى ذلك مئات الملايين وانتجت الاله ـ مصدر الرفاهية ـ القنابل والطيارات والبواخر والطائرات والغواصات تهلك المدن الآمنة وتهدم القصور القائمة وشغلت دول الغرب بالتنازع على تقسيم الأرض ، والأرض لله يورثها من يشاء ، والتنازع على الموانى والمنافذ والبحار ، وأصبحت الدول الصغيرة تركة تنتقل بين أيدى الدول الكبيرة كأنها لاحق لها فى الحرية ولا فى الحياة وانتشرت من جراء

الحضارة والحرب أمراض كثيرة فتاكة كالزهرى والسيلان سببها هذا الاختلاط وهذا الكشف الفاجر عن الغريزة الجنسية ، وانقسمت القاره إلى أجناس وطبقات وتخبطت أوربا فى نظام القوميات والعصبيات وأخذت كل أمة تدعو إلى بناء المجد الفردى كالفاشية والنازية للتحكم فى الشعب والسيادة عليه وتكميمه فى ديكتاتورية تسحق حقوق الأمة وتقود الأمة كلها بعقل واحد كثيرا ما يدفع الأمة إلى الفناء والدماء

ما أشد هزل هذه الحضارة التى ماتزال تتخبط فى وضع قاعدة لمجتمع سليم فلا تستطيع والتى تنتسب كلها للمسيحية فلا تحول بينها المسيحية وبين الانقسام والتناحر ، ومن هذا العرض يتضح لك أن الحضارة الغربية فاشلة وأن المجتمع الأوربى مهدم محطم قائم على شفا جرف هار

وإن استغلت أوربا كلمة المسيحية فى سياستها الحديثة فانما ذلك لون من الدهاء تكتسب به بعض العقول الساذجة وتكسب به معاونة البابا ، وفرنسا دولة الدعارة وجامعة الشك والالحاد تتقرب الآن إلى البابوية فى الفاتيكان بعد أن كانت تكره الأكليروس لدعم سياستها فى الاستعمار فان معاونة الكنيسة الكاثوليكية أعظم مساعد لها على توطيد أقدامها فيه ومن ثم أسمت نفسها (حامية المسيحية فى الشرق)

أما فى الواقع فالغرب لا يؤمن بأى دين ولا يعترف بالكنيسة ولا يعتقد بالانجيل .

وليس هذا بحسب سر ما جرف مفكرى الغرب عن الدين بل لقد وصلوا إلى أبعد من ذلك أنهم انتقدوا الكتب المقدسة نقداً مراً لاذعا وأنكروا أنها من عند الله وانصرفوا عنها يحاولون الوصول إلى الحقيقة ويحاولون أن يرسموا للمجتمع نظاما جديدا فما زالوا يتخبطون وسيظلون كذلك لأنهم سيبعدون الروحية عن قواعد المجتمع ومن هنا جاءهم الفشل التدرج والغرب الذى يحاول الآن حل قضية السلام العالمى ما زال يحمل معه بذور الاستعمار والتسلط والتقاتل على تقسيم الدنيا مما سيولد حتما حروبا قريبة سريعة .

* * *

* * *

من هذا التخبط فى الغرب تعرف أن أوربا تعتقد بأن الدين لا يضع للناس شريعة اجتماعية وقد كان هذا التنظيم الاجتماعى طول القرون قائما على أوضاع اجتهادية مستمدة من سلطان الكنيسة ثم من سلطان المفكرين الذى تحرروا من الكنيسة - ولو اعترفوا بأن للمسيحة أوضاع اجتماعية ثابتة ما تخبط الناس ولا اختلفوا مع الكنيسة ولا هجروا الدين ولا عقدت المجامع لاقرار حالات خاصة وأوضاع معينة ولا كان ماوقع بين البروتستانت والكاثوليك من مجازر (سان بارتلمى) وما سواها من حروب واضطهادات تدل أبلغ الدلالة على أن المسيحية أخفقت تماما فى تنظيم المجتمع الغربى ولذلك طلقوها ولم يعترفوا بها - كما قلنا - ألا دعوة تعصبية حين تقف تجاه دول الإسلام يستوحوا ما كان بينها وبين أوربا من صراع يوم أن انتقص الإسلام الأرض من أطرافها .

وقد كان من الخير - ولا يزال - أن يعرف الغرب إن المسيحية دين انتقال وأنه جاء مقدمه لدين الإنسانية الكاملة : الإسلام الذى استطاع أن يرد اتباعه عن هذا الشر كله الذى سببه ضعف الثقة فى قدرة الدين على تنظيم المجتمع الأوربى والاستجابة الكاملة للبحث الحر والتفكير المنطقى وحرية الكشف والعلم والاختراع

ولو كان الغرب قطع علاقته كلية بالدين لكان ذلك خيرا له ولما شغلنا بالحديث عنه ولكنه ما يزال يقول بانه مسيحى والمسيحة تعمل على محبة الله والسلام فى الأرض ولكننا حين ننظر إلى أعماله نجدها استعمارا واستعبادا وظلما ورعونة وتفريقا وتمزيقا وتقسيما وتقاتلا وإن كانت هناك هوه كبرى بين قول يقوله الدين وعمل يعمله الاتباع فهو ما بين السلام والمحبة والأخاء شعار المسيحية وبين الغدر والحرب والدمار شعار الغربيين الآن .

* * *

لم يسخر الغرب من المسيحية فحسب بل وسخر من كل داع يدعو إلى الروحية ، فقد أوسعوا تولستوى إهانة ورموه بالحماقة والجنون واعتبروه من دعاة الخيال لأن الروحية فى نظرهم (لا تصلح للفرد الأوربى بل هى تتعارض مع جو الحياة الذى يعيش فيه - وإن حضارة تقوم على التفنن فى استنباط وسائل الرخاء المادى

وعلى تربية روح المزاحمة والتفوق الاقتصادى وعلى استخدام وسائل القتل والتدمير لأنماء الصناعات وإيجاد منفذ تجارى لهى حضارة لا تعلم الفرد الخنوع والاستخذاء ومقابلة الشر بالخير بل تعلمه أن من لا يأكل الآكل ومن لا يبرز فى الطليعة يداس بالأقدام) هذا رأى كانت مسيحى مستغرب فى العلاقة بين الحضارة الغربية والمسيحية كدين - إن المسيحية فى نظره تعطل عن السيادة وتضعف المطامع وتحول دون استعباد الضعفاء - واستعمار الشعوب الصغيرة ، الغرب لا يحب أن يجنح إلى العدالة والسماحة والرحمة والسلام فذلك من تراث الروحانيات فى الشرق التى استعبدها الغرب بالحديد والنار .

وهل تقوم حضارة بدون روحية ، أنها بانصرافها عن الروحية تعجل بانهيارها هذا الانهيار الذى يظهر لنا فى الخلق المحطم - والطمع المجسم ، والرغبة الحيوانية ، والتكالب المميت على الاستعمار والشهوة - ولكن هل إذا انصرف الغرب عن دينه لأنه يضعه فى قفص من الضعف كان على الشرق أن ينصرف عن دينه وهو الذى يحمل أكرم رسالة وأشرف دين - وهو الذى يعتنق دين العزة والسماحة إن فى ديننا قواعد الحضارة وأسس العزة وعوامل القوة وفيه وسائل الكفاح وأسباب الحرية وفيه السلم والسماحة والرحمة كل منها يستعمل وقت الحاجة إليه وقد رسمت قواعده ودواعيه بدقة تامة فلا يطغى هذا على هذا

إن الفصل بين الدين والسياسة تقليد غربى رمينا به بمحاولة للتفرقة وتحطيما للقوى المعنوية ودفعا إلى التمزيق للوطن الواحد فلا تتجه القوى وجهة واحدة ،فالجمع بين السياسة والدين فى الاسلام هو سر القوة والوحدة ولأن فى قواعد الاسلام أصول السياسة والدين على أشرف صورها وأعمها

يقول الأستاذ الغمراوى (إنها مدنية مسيحية اسما لكنها لم تقم قواعدها على نصرانية ولا أسلام فنصرانية عيسى ليس فيها حرب ولا سلاح ولا استعمار والحرب فى الاسلام لا يكون فى سبيل الفرد ولا فى سبيل الأمة ولا فى سبيل الجنس ، ولكن فى سبيل الله ليكون الحكم فى الأرض لله .)

ولو أن قواعد الحضارة قامت على الدين والروحية لكان لها منهما حصنا وظهيرا يزدها عن الشر والطغيان ويرد عنها عوامل الانهيار والفناء

* * *

استعملت الحضارة الغربية الاقتصادية الاستعمارية معنا كل ألوان الغش وأساليب الخداع وأسباب النفاق ، وكانت دائما إذا وجدت كسبا وفت وإن وجدت خسارة نكثت وهى معنا فى حرب دائمة حرب فى الحرب وحرب فى السلم . حرب فى الحرب بالقتال والطائرات والدبابات والبوارج ، وحرب فى السلم بالتجارة والحواجز الجركية والخامات ومنابع البترول وهى دائما تذيع عنا كل نقيصه وترمينا بكل تهمة حتى تعلل استعمارها لنا أمام الأمم الغربية بعدم أهليتنا لحكم أنفسنا

حضارة لا هم لها إلا طلب المال ، تجمعه بالقوة والظلم وتوزعه على الهوى والشهوة ، حضارة غافلة عن الانسانية السامية المسالمة ـ متردية فى الحيوانية الشهوية ـ كاشفة عن أسرار الجنس وعوامل الأغراء فى الأجساد ـ مترفة هزيلة ذات أنيـــاب حادة مسلطة على الأمم الضعيفة استعماراً واستعباداً واستبدادا ، حضارة تفرق بين بنى الانسان فيسمو صنف فى نظرها حتى يصل مصاف الآلهة ويذل صنف آخر حتى يصبح فى منازل العبيد

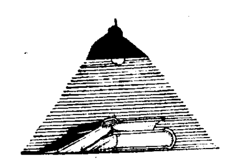
حضارة تعرف ألفاظ الكرامة والحرية والأخاء والمساواة فى شعبها ولا تعرفها مع الناس ، حضارة ترسم قواعد البحث العلمى المجرد النزيه فتطبقها على تاريخها ومجتمعها وتغالط به فى تاريخ غيرها

حضارة تستعلى بنعرة الجنس وعصبية القومية ، وتحاول هدم ماسواها من عصبيات وأجناس ، حضارة تنسى خالقها وتنسى دينها وتندفع فى الحياة لاشباع شهوتى البطن والفرج فى جرأة مزينة ذلك بكل ألوان الفتن والمغريات منقاده إليه فى نهم عاصف ، حضارة تدعى فى أوقات الجرح والحرب والهزيمة أنها تعمل للمثل الأعلى ولتحرير الجنس البشرى وتقيم الصلوات فى الكنائس فاذا آوت إلى النصر والسلام تولاها شيطان الظلم وقادها جن الاستعمار

حضارة مجنونة متقلبة لا تثبت على وضع وما تزال تجرب وتفكر ، وهى لا تقوم من ضلاله إلا لتقع فى غيرها ، وهداها قريب وترياقها بسيط ، هو العودة إلى الدين الحق ، دين الاسلام فقيه (الأمل الأول) عقيدة سليمة صافية سمحة وفيه (الرغبة الثانية) قواعد كاملة لمجتمع سليم ،ولن تستطيع هذه الحضارة أن تثبت قدميها وأن تحفظ بناءها إلا إذا عرفت هذا الحق وأخذت به ومادامت على تعصبها للافكار الخرقاء وأصرارها على المجتمع الداعر فمصيرها إلى الزوال والتحطم (وكذلك أخذ ربك إذا أخذ القرى وهى ظالمة إن أخذه أليم شديد) ثم يكون بعد للاسلام دولته وعزته ومجده (ونريد أن نمن على الذين استضعفوا فى الأرض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين ونمكن لهم فى الأرض)

والله أكبر ولله الحمد

أنور الجندى



سلسلة رسائل تاريخ الفكرة الاسلامية

تظهر أول كل شهر

بقلم انور الجندى

مجموعة ١

دعوة الاخوان

يطلب من المؤلف

- مع بعثة الحج — ظهر
- الاخوان المسلمون فى ميزان الحق — ظهر
- قائد الدعوة — ظهر
- رهبان الليل وفرسان النهار
- مصحف وسيف

مجموعة ٢

الحركات الاسلامية الأخيرة

يطلب من المؤلف

- قضايا الأقطار الاسلامية — ظهر
- فلسطين والمغرب — ظهر
- انهيار الحضارة الغربية — ظهر
- الاسلام يزحف — يظهر أول نوفمبر

مجموعة ٣

القضية الاسلامية الكبرى

- دسائس الاستعمار فى الشرق — صدر
- المؤامرات الصهيونية وفلسطين — [illegible]
- كيف تتحرر مصر — ديسمبر
- قضية وادى النيل — نوفمبر

مجموعة ٤

مذكرات مسلم

مجموعة ٥

بعث الفكرة الاسلامية

- قواعد البناء للدعوة الاسلامية
- القرآن دستور الانسانية
- حياة الرسول الأمين
- المجتمع الاسلامى بين عهدين
- الجهاد والفتح
- المرأة والبيت الاسلامى
- الزعامة والحكم فى الاسلام
- الشخصية الاسلامية
- الاقتصاد الاسلامى والمذاهب الجديدة
- الخلافة والجامعة الاسلامية
- روحانية الدعوة (عقيدة وعبادة)

مجموعة ٦

صحائف العزة وأيام المحنة

وأبطال الدعوة الاسلامية

مجموعة ٧ — مارس

تاريخ الأحزاب ، الوزارات ، البرلمان ، الدستور ، الزعماء